دراسة مضامين الشعر الحسيني في الأدبين الفارسي والعربي

الأستاذ المساعد الدكتور
نرجس الأنصاري
جمهورية إيران الإسلامية ـ جامعة الامام الخميني
narjes_ansari@yahoo.com

١ـ المقدمة:

نُظم الشعر الحسيني والعاشورائي التزاماً بالقيم الرفيعة والمراتب العالية للإمام الحسين في نهضة الأمة وإصلاحها، وثباتاً على العدالة في مواجهة الظالم. وهو شعر يهدف إلى تحقيق الأهداف النهضوية الجلية والخفية للإمام، هذا من جانب، ومن خلال مواجهة الحكومات الظالمة وتحديها من جانب آخر. وبواسطة هذا التأثير العجيب فقد واجه الشعر العاشورائي وناظميه تهديداً متواصلاً من قبل حكومات ذلك العصر. وفي كثير من مراحل الفترات التاريخية التي شهدتها الأمتين العربية والفارسية، وبالنظر إلى الأهداف السامية للنهضة الكربلائية وانعكاسها على الشعر العاشورائي يمكننا القول: " يعد الشعر العاشورائي انتقاداً للحكام الغاصبين وإحياءً للمفاهيم الحيّة وإعادة بناء للدين ونشراً للقيم الباقية والخالدة لدرب العقيدة من خلال التضحية والجهاد والفداء. كما أن الشعر العاشورائي انتقال لثقافة الشهادة و شعار لحماية آل النبي ﷺ المظلومين." (محدثي، ١٣٨٣، ١٧).

يعد الشعر العاشورائي أوسع مجموعات الشعر الالتزامي المنظومة بحق أهل البيت. ويمكن الشروع في هذا الموضوع عند الأمتين العربية والفارسية بناءً على العديد من الدلائل المهمة التي تم جمعها. تعتبر الجذور الدينية والعقائد الواحدة والأصول الثقافية والاجتماعية المشتركة، من العوامل التي أوجبت نظم الأدب الديني المتقارب لكلا الأمتين وإيجاد التشابهات بينهما. وبالنظر إلى عوامل عدة كظهور التشيع ورواجه بين الأمتين، ومكان وقوع الحادثة، والغنى الأدبي واللغة المستقلة و حضور الأئمة الشيعة آنئذ- وهو من أهم العوامل-، كل هذا يدل على أنّ هذا العنصر من الأدب قد أثبت ظهوره وتواجده على الساحة الأدبية العربية. لو أنّ الأمة العربية والفارسية سايرتا سياسات الحكومات في مواجهة الشيعة طوال فترات التاريخ والمواجهة بينهما، لأدى الأمر إلى اضمحلال العظمة

الأدبية العاشورائية أو حتى إلى أفول نورها، لكنّ هذه الشعلة لم تخمد في قلوب الشيعة، وعلى الرغم من الظروف الصعبة والقاسية فقد أقاموا مراسم عاشوراء، كما أنّ الشعراء بشكل خفي وبدون أن يمعنوا النظر إلى أشعارهم قد أظهروا حقدهم وغضبهم على شكل قوالب شعرية. إنّ أهمية دراسة هذا القسم من الأدب وتوضيح التشابه بين الأمتين يجعلنا نعتبره هادياً ونبراساً لتقريب بين المذاهب الإسلامية وإظهار الوحدة الإسلامية بين الأمتين، ذلك لأنّه الحسين لا يرتبط بدين ومذهب معيّن، بل إنّ الشعر الحسيني قد جرى على لسان كثير من شعراء الملتزمين في العالم الإسلامي، لذلك فالبحث الذي بين أيدينا يتناول دراسة أشعار أكثر من أربعين شاعراً معروفاً في الأدب العربي والفارسي المعاصر لتوضيح هذه القضية:

أسئلة البحث:

ما هي الاتجاهات والمضامين التي انعكست فيها عاشوراء في أشعار شعراء اللغة العربية والفارسية؟ ماهي نقاط التشابه والاختلاف في نوع تناول الشعراء للموضوعات المتشابهة؟ وماهي العوامل الثقافية والسياسية والاجتماعية التي أثرت على هذا النوع من الأشعار؟

٢ـ المضامين في الشعر الحسيني.

إلى جانب وصف الشعراء للشخصيات الحاضرة في ملحمة عاشوراء، نجد أنّ هؤلاء الشعراء التفتوا إلى طرح العديد من الموضوعات المرتبطة بعاشوراء، ومن هذه المواضيع المتكررة التي عَنوَن لها بعض الشعراء في أشعارهم:

١-٢ الأسر:

يمكن النظر إلى نهضة الإمام الحسين من منظرين؛ الأول أساس النهضة الحسينية وشكلها، والثاني مواصلة الحياة و البقاء. مع أنّ هذه النهضة قد اتخذت طابع الجهاد والتحدي مع الإمام وأصحابه حتى يوم عاشوراء، إلا أنها تضمنت، بلاشك، إحياء لما تعرض له موكب عترة النبي المتمثل بعلي بن الحسين عليه السلام وزينب الكبرى من جدال ونقاش طوال مدة الأسر.

إنّ أسْرَ أهل البيت قوة أخرى لثورة الإمام التي سطرت خلودها في التاريخ إلى جانب

كشف النقاب عن غطاء الغفلة والجهالة الذي أعمى بصيرة كثير من الناس. لذلك فالأسر قسم أساسي من النهضة العاشورائية، و ينعكس هذا النوع من الشعر في أشعار الشعراء بسبب تأثيره على عواطفهم وأحاسيسهم. في الحقيقة إنّ الخوض في موضوع الأسر مسألة لم نكن لنجدها عند الكثير من الشعراء، بل إنّ بعضهم لم يشرع في نظم الشعر حياله، وبعضهم الآخر قد أشار إليه ضمن موضوعاته الشعرية الرئيسة.

إنّ البحث في أدب الأمتين العربية والفارسية حيال موضوع الأسر، يوضح بعضاً من جوانب التشابه والاختلاف بينهما. وهنا لابدّ من طرح مجموعة من التساؤلات منها:

ما هي رؤية الشعراء واستنباطاتهم حيال موضوع الأسر؟ ماهي العواطف والأفكار التي غلبت على أشعارهم؟ هل بقيت نظرة الشعراء حيال موضوع الأسر سطحية أم أنهم خاضوا إلى عمق الفلسفة وأفكارها وقالوا كلاماً برز في آثارهم؟ و...

النظرة الإجمالية للنماذج المختارة، تعكس رؤية أكثر شعراء العرب حيال هذا الموضوع. ومن هنا فإن موضوع الأسر قد فُصّل في الشعر العربي، في حين أنّ الشعراء الإيرانيين قد اكتفوا بذكر بيت أو بيتين. يمكن أن يقال أنّ نظرة العرب حيال هذا الموضوع ناشئة من الأهمية الكبيرة له عندهم، كما أنهم من شدة خوف وقوع بناتهم في الأسر الذي يجلب لهم العار و الذلة فقد كانوا يؤدونهن ويدفنونهن أحياء. كما أنّ نظرة الشعراء العرب إلى هذا الموضوع يبين طريقة تفكيرهم أيضاً.

على الرغم من أنّ الأسر نفسه يدل على الإهانة والتحقير للشخصية الإنسانية، إلا أنه حيال أسرى كربلاء، يمكن أن يكون - له دلالة أخرى - رسالة لدماء الشهداء وبرهان على جناية اليزيدين حيال أهل البيت. الأسر في كربلاء يعني هدف تقديم الأولوية وتأخير الإهانة. لذلك فأسر أهل البيت وتكبدهم العذاب من أعدائهم ما هو إلا شكل ظاهري لما حدث. فإحدى نقاط الاختلاف الرئيسة والأساسية في الشعر العاشورائي عند الشعراء العرب والإيرانين يتمثل في طريقة الشروع بموضوع الأسر ذاته. فالشعراء العرب قد نظروا إلى موضوع الأسر نظرة سطحية، لذلك يعد هذا الموضوع من وجهة نظرهم مسألة تحقير وإهانة للأسير. ولم يذكر الشعراء العرب هذا الموضوع بطريقة غير مباشرة، بل بشكل صريح، فيأتون بالألفاظ التي تدل على الذل والهوان في أشعارهم كـ"الهوان" و"الذل".

ونرى الحيرة تنتاب "محسن الأمين" وهو يصور نساء أهل البيت بالذل و الهوان وهنّ على ظهور الجمال بدون محاملهن أثناء طريقهن إلى الشام:

وَحَائِـــراتٌ مِـــنَ الأَسْتَـــارِ قَـــدْ بُـــرِزَتْ تَمْشِـــي سِـــرَاعاً بِثَوبَـــي ذِلَّـــةٍ وَسِبَـــا
تَسْـرِي بِهِـنَّ العِـدي فَـوقَ المَطَـا عُنُفـا إلى الشَّـامِ وَ بَـرْدُ الصَّـون قَـدْ سُـلِبَا

(بي تا، ٢٩)

كما نرى "سيد رضا هندي" متحسراً من أسر الأعداء لنساء أهل البيت:

لَهْفِـي عَلَـى هَـا حِـينَ تأسِـرهَا العِـدي ذُلًّـا و تُرْكِبُهـا النِّيـاقَ صِعابَـا
سُلِبَـتْ مَقَـانِعُهـا ومَـا أَبقَـتْ لَهَـا حَـاشَى المَهَابَـةَ والجَلَـالَ، حِجَابَـا

(١٤٠٩، ٤٣)

حتى أننا نرى شاعراً آخر يصف أسر أهل البيت صراحة، ويعبر عن ذلهم بعد العزة التي كانوا فيها. يأمل "محسن أبو الحب" بعد نهاية الحرب أنْ يلقي الرجال الغيارى من مقاتلي الإمام نظرة إلى نسائهم ليروا كيف تبَدَل حالهن ذاك اليوم من العزة إلى الذل، وكيف حمل الأعداء تلك النسوة العزيزات أسيرات معهم:

لَيتَـهُم بَعْـدَ مَـا الوَغَـى أكـلَتْهُم أرْسَـلُوا نَظْـرَةً وَ قَـامُوا عُجَـالي
لِيـرَوا بَعْدَهُـم كـرَائِـمَ عِـزٍّ زَلْـزَلَ الـدَّهرُ عِـزَّهَا زِلْـزَالَـا
أصْـبَحَت وَ العَـدُوّ أصْـبَحَ يـدعُو إسْحبِـي اليـوْمَ لِلسِّبَـا أذْيـالَا
ذَهَـبَ المَانِعُـونَ عَنْـك فَقُومِـي وَالبْسِـي بَعْـدَ عِـزِّك الإذْلَـالَا

(البحراني،١٤٢٨، ٥٧٩)

إنّ النظرة إلى هذا الموضوع مع التوصيفات الجزئية له (نزع الحجاب، وركوب الجمال بلا محمل، والضرب بالسياط، وآهات النساء، و...) أدى إلى بروز عاطفة الحزن والغم في أشعار هؤلاء الشعراء.

كما نجد أنّ الشعراء العرب قد استفادوا من تعابير عديدة لتصوير الأسر، وهي تعابير "سوق الإماء". و قد استعمل العرب هذه التعابير في ثقافتهم الماضية في بيع وشراء الجواري. وهذا ما نراه في توصيفات "مهدي مطر" أثناء نقل النساء في الصحاري.

ثُسَـــاقُ إلي السَّـــبي سَـــوْقَ الإمَـــاء وَتَقْطَـــعُ في البيـــد وِدْيانهـــا

(بحر العلوم،١٤٢٨، ٣٨١)

وهذا ما نراه أيضاً عند "الفرطوسي" وما نقله عن لسان الإمام السجاد، الذي صور قدوم عترة النبي إلى الشام أسرى وكأنهم الجواري في حركاتهم:

مـــا تَمَنّـــي السَّـــجَادُ لِلْمَـــوتِ يومَـــاً بِسِـــوَي الشَّـــامِ مَـــوْطِنِ البَغْضَـــاءِ

حَيـــثُ فِيـــه حَرائِـــرُ الـــوَحْيِ أسْـــرَاً وهَـــواناً تُسَـــاقُ سَـــوْقَ الإمَـــاء

(١٩٧٨، ٣٥٣/٣)

إنّ النظرة الوحيدة والمتفاوتة بين نظرات الشعراء حيال أسر أهل البيت هي ما نجده في شعر "جمال الدين الهاشمي". مع أنه قد أشار في مواضع أخرى من شعره وعبّر عن النظرة نفسها التي نظر إليها الشعراء السابقين، إلا أننا نجده في قصائد أخرى من شعره قد اعتبر الأسر معادلاً لشهادة الإمام الحسين و أساساً للبقاء والاستمرار، لا للذلة والهوان. فالأسر عنده يعادل الشهادة والخلود والبقاء:

إنْ يك السِّبْطُ بالشَّهَادَةِ قَدْ عَاشَ فَقَدْ عِشْتِ بالإسَارِ بَقَاء

لَمْ يكُنْ قَتلُه بأكثَرَ مِنْ سَبيك فِي نَظْرَةِ الخُلُودِ جَزَاء

(١٤٠٦، ٢٤٣/١)

أما الشعراء الإيرانيون فقد تجاوزوا هذه النظرة السطحية للأسر ونظروا إليه نظرة أعمق من ذلك. صحيح أنهن ذكروا الأسر وقرنوه بالذل والتحقير بطريقة غير مباشرة، إلا نظرتهم الكلية له نظرة هادفة ومعبرة:

چونان كه گفت خواهر خود را اسير، باش آزاد تا جهان شود از قيد هر پليد

(خوشدل تهراني،١٣٦٤، ٧٥٩)

شهيكهگفت بفرخنده خواهرش زينب اسير شو كه شود از تو عالمي آزاد

بكوب فرق عدو ز آتشين خطابه خويش كه هست برسر خصمان چو پتكي از پولاد

(المصدر نفسه،٧٥٨)

فالأسر في نظر "خوشدل" تحمل إشارة وهدف عال، وإنّ أسر السيدة زينب ما هو إلا حرية للعالم المستقبلي. الأسر لن يُركع زينبنا، ولن يُغلق فمها، بل سيكون خطاباً حارقاً وبليغاً. إنّ إثبات الولاية واقتلاع جذور الأعداء من الأهداف السامية والرفيعة للأسر التي قد ذكرها المؤيد في شعره:

كوفه وروز اسيري ديدن زينب دريغ — چون در وديوار كوفه آشناي زينب است
بهر اثبات ولايت رفت بايد هر كجا — ورنه كاخ ظلم ويزم مي چه جاي زينب است
(١٣٧٣، ١٢٦)

پاي در سلسله و دست به دامان وصال — دشمن از بيخردى در پي آزار من است
دشمنم بسته به زنجير، ولي غافل از آن — كه برانداختن ريشه ي وي، كار من است
(المصدر نفسه،١٤٨)

أو إن الحسيني ضمنها شعره كاستعماله رمز غروب الشمس وهو دلالة على شهادة الإمام الحسين. وبناء على كلامه المتفكر فإنّ الشمس الزينبية قد أزالت عالم الظلم والجهالة وأضاءت المستقبل للبشرية:

وخورشيد/بر كوهان كوههاي برهنه/به اسارت مي رفت (حسيني،١٣٨٦، ٦٢)

به آينده/اشارتي روشن بود/آن سيل زخمدار اسارت/كه در بستري برهنه/مي‌رفت
(المصدر نفسه،٤٩)

كما جاء من قبل أيضاً، فإنّ النظرة العرفانية لعاشوراء والشخصيات والوقائع المتمثلة بها، تعد من الخصائص الخاصة للشعر العاشورائي الفارسي الذي تضمن تصوير موضوع الأسر أيضاً. الأسر من وجهة نظر "سبزواري" شراب مسكر لزينب من جانب الله، ولهذا السبب لا وجود للألم والعذاب، بل هو عشق يُرتَشف، فتدخل بها الطريق:

اينك به حبّ او به راه شام كوشم — وز دست ساقي در اسارت جام نوشم
(مرداني،١٣٧٧، ٧١)

النظرة إلى الأسر ما هو إلا إرادة إلهية وتقدير منه، وفي النتيجة هو قناعة ورضا، ومن جانب آخر فقد طُرح الشعر العاشورائي في الشعر الفارسي وكان متميزاً في طرحه عن الشعر العربي. إنّ هذه النظرة للأسر قد نشأت من هذا الجانب، ولم تر سيدة الحرية في كربلاء في تلك المصائب والآلام سوى الجمال. لأنها تعرف أنها إرادة الله، وأنها سارت في هذا الطريق من باب المحبة:

گر به اسيري برند عترت او دشمنان — هر چه ز دشمن بر او دوست پسندد، نکوست

(كرماني،١٣٨٥، ١٧٥)

اسيرم كرد اگر دشمن، به جان دوست خرسندم — به پايان خدمت خود را به وجه احسن آوردم

(قزوه، (١)١٣٨٦، ٢٤٣)

٢-٢ الماء والعطش:

يعد العطش من أكثر الحوادث المؤلمة في واقعة كربلاء. وهو التراجيديا التي أثارت العواطف الإنسانية و أحاسيس البشرية الجريحة على طول التاريخ. إنّ هذا الحدث المر والأليم الذي يدغدغ عواطف الشعراء، قد انعكس بشكل واسع في الشعر العاشورائي، ومن خلال الحزن والألم الذي تضمنه فقد أُدرج هذا القسم من الشعر في مجال الأدب البكائي. إنّ الحسين بن علي، وأبا الفضل بن العباس، وعلي الأصغر من الشخصيات العاشورائية القريبة والمرتبطة بالماء والعطش. كما أنّ الشعراء كثيراً ما يذكرون الفرات في شعرهم العاشورائي، وبشكل خاص أثناء الحديث عن العطش.

إنّ البحث في هذا الموضوع يجعله يمتاز بعدة نقاط: بداية، هل جعل الشعراء العطشَ بوابة لتحريك العاطفة والأحاسيس، وذريعة لإثارة عواطف المخاطب أم لا؟ هل بقي الماء والعطش على معناه الظاهري العاطفي، أم أنه تحول إلى رمز بعد تجاوز المعنى الظاهري له؟ يوضح هذا الأمر "محدثي" بالإشارة إلى مفهوم رمز الماء: ((هو رمز طلب وعطش ومثال للعطش الذي يهب الحياة)) (١٣٨٧:٢٢).

في تحليل أشعار شعراء الأدبين والمقايسة بينها، فإننا لا نجد تفاوتاً كبيراً في موضوع العطش. والوجه المشترك بين الشعرين العربي والفارسي حيال عاشوراء يتمثل في غلبة نظرة

الحزن والمشاعر المتعلقة بها، كما أنها ضرورة طبيعية لهذا الموضوع. إنّ أغلب الشعراء بعاطفة ملؤها الحزن والأمر والتأثر لما حصل من عطش الإمام يصورون شهادة علي الأصغر وشجاعة وشهادة العباس من أجل إيصال الماء للخيم:

در كنار آب، مهمان جان سپارد تشنه لب — آنچنان كز دود آهنش تيره گون گردد هوا
خون روان گردد چو نيل از چشمه ى چشم فرات — از فغان كودكان تشنه كام نينوا
(اصفهاني، ١٣٨٤، ١٣٢)

با دهان خشك، سقّا برلب درياي آب — از سرشك تشنه كامان شرمگين افتاده بود
(سازگار، ١٣٨٥، ١/٢١٥)

ظَمْآنَ ذَابَ فؤادُه مِنْ غُلَّةٍ — لَوْ مَسَّتِ الصَّخرَ الأصَمَّ لَذَابَا
(السيد الموسوي، ١٤٠٩، ٤٣)

يصور الهاشمي - في خطابه لأبي الفضل - بكاء وأنات أطفال الإمام العطشى، كما يرى أنّ الإمام قد مهدّ لهم طريق الفرات. وصور الهاشمي الإمام بشفاه عطشى وقلب محروق إلى جانب الشريعة وهو يأبى شرب الماء مع تداعي المشهد الأليم للأطفال العطشى:

وَهَزَّ لِوَاكَ أنِينُ الصّغَارِ — يُصَعِّدُه عَطَشٌ مُوجِعُ
فَخُضْتَ الفُرَاتَ وَجَيشُ الطُّغَاةِ — بِهِ غُصّ شَاطِئُه المُمْرِعُ
وَكَظَّ الظَمَا قَلْبَكَ المُسْتَشِيطِ — وَقَدْ ضَمَّكَ المَنهَلُ المُتْرعُ
وَحَاوَلْتَ عَبّاً وَلكنَّمَا — أصَابَ بِكَ المَنْظَرُ المُفْجِعُ
(١٤٠٦، ١/٢٢٥)

(ر.ك: ابوالحب، ١٣٧٥، ٥٧٨، ٥٨٠؛ بحرالعلوم، ٤٨٦، ٤٩٠، ٤٩١، ١٤٢٨؛ الحسيني، ١٣٣، ١٤٢٧؛ العسيلي، ٤٦٣، ٤٨٣، ١٤٠٦؛ آل طعمة، ١٤٢٢، ٨٤و٦٥و٦٤؛ سلامة، ١٤٢٥، ٢٩٣، ٣٠٦؛ الفرطوسي، ١٩٧٨، ٣٣٠؛ الأمين، بي تا، ٢٦؛ عزيزي، ١٣٧٥، ١٧٥؛ مشفق كاشاني، ١٣٦٥، ٢٧٢؛ همايي، ١٣٦٤، ٨٣، ١٢٨)

إضافة لهذا التصوير العادي والرائج لمفهوم العطش، إلا أننا نجد أحياناً تعابير وصور

متفاوتة في الشعر العاشورائي لدى شعراء اللغتين. يرى "عبدالرزاق عبدالواحد" العطش عين ماء صاف، وزمزم لجميع العصور، فمن شرب منه سيرتوي:

وَيَـــا عَطَشَـــاً كَـــلُّ جَـــدْبِ العُصُـــور سَـــــيَنْهَلُّ مِـــــنْ وَرْدِهِ الزَّمـــــزَمِ

أو نظرة "جمال الدين الهاشمي" الذي رأى في عطش الإمام دلالة على البقاء ونهضة للخلود:

عَطَـــشُ السِّـــبْطِ صَـــارَ مَنْبَـــعَ ألطَـــافٍ يُـــــرَوِّي الخُلُـــــودَ بِالآلَـــــاءِ

(١٤٠٦، ٢١٦/١)

ومن الخصائص الأخرى لموضوع العطش في الشعر العربي مزج الرثاء بالمفاهيم الحماسية والمدح. فالشاعر من خلال هذا المعنى يصور - أحياناً - فضائل ومحاسن أبطال كربلاء وشجاعتهم بدل أن يصور الحزن والألم عليهم. يرى " حسين كاشف الغطاء" أنّ الأرض قد شبعت من الدم الذي أراقه الإمام من أعدائه:

ظَـــامٍ تَفَطَّـــر قَلْبُـــهُ ظَمَـــأً وَبِـــا الحَمَلَـــاتِ مِنْـــهُ تَرتَـــوِي الغَبْـــرَاءُ

(بحرالعلوم، ١٤٢٨، ٤٩٤)

أما "مهدي مطر" فنراه يصور الكرم والجود في قصة الإمام بدل العطش:

لَبَّيْـــكَ ضَـــامٍ حَـــلَؤوهُ عَـــنِ الـــرَّوي وَبِرَاحَتَيْـــهِ مِـــنَ المَكَـــارِمِ أبْحُـــر

(المصدر نفسه، ٣٨٠)

(ر.ك: الخاقاني، ١٤٠٨، ٣٧٩/١٢، ٣٧٣؛ السيد الموسوي، ١٤٠٩، ٤٨؛ البحراني، ١٤٢٦، ٥٨٠)

كما أنّ الدعاء من التراكيب المتداولة في الشعر العربي الذي عكسه شعراء عاشوراء في أدبهم و مضامين أشعارهم التي نظموها، والأمر ذاته نجده عند المرثيين الذين يطلبون الماء ويُصلّون الاستسقاء على مزار المتوفى، فقد دعا هؤلاء الشعراء أن يروي نهر الفرات أبطال كربلاء العطشى:

لا بَـــلَّ ذَا غلّـــة نَهْـــرٍ قُتِلْـــتَ بِـــهِ مُـــورِي الفُـــؤادِ أوَامَـــاً وَهْـــوَ مُطَّـــرِد

(الهاشمي،١٤٠٦، ٤٦/١)

مَضَـــوا عُطَاشَـــي وَلكِـــنْ رَوّوا الخِـــذما لِيســـقِ عَهْـــدَكُم صَـــوْبُ الغَمَـــامِ فَمَـــا

سَـــقَاكُمْ النَّهـــرُ عَـــذْبُ المَـــاءِ ظَامِينَـــا

(المصدر نفسه، ٤٨/١)

فالاستسقاء له جذور في حياة العرب القدامى. وقد كتب "علي البطل" أنه من خلال حساب جذور الأساطير وجد أنّ العرب يلتفتون إلى المطر و يميلون إليه ويطلبونه لموتاهم، وهذا التمني يتناسب مع الحياة والعيش مرة أخرى. (١٩٨٣م، ٢٣٠).

(ر.ك: الخاقاني،١٤٠٨، ٣٨٠/١٢؛ الأمين، بي تا،٢٦؛ بحرالعلوم، ٤٩٨،١٤٢٨)

يأخذ الماء والعطش في الشعر العربي المعاصر - أحياناً - مفهوماً رمزياً كما هو الحال في شعر "أحمد دحبور" فالماء لديه ليس بالمعنى الرمزي الظاهري الدّال على الحياة والنمو، بل عطش الشاعر يتجلى في الحياة والتجدد:

آت وَ يَسْبِقُنِي هَوَايَ/آت وَ تَسْبِقُنِي يَدَايَ/آت عَلَي عَطَشِي، وَفِي زُوَّادَتِي، ثَمَرُ النَّخيلِ/فَلْيَخْرُجِ الْمَاءُ الدَّفينُ إلَيَّ، وَلْيَكُنِ الدَّليلُ/يَا كَرْبَلاءُ تَلَمَسِّي وَجْهِي بِمَائِكَ، تَكْشِفِي عَطَشَ القَتِيلِ (١٩٨٣، ٢٥٧)

أما هذه النظرة المتباينة للعطش في الشعر الفارسي ملفتة للنظر أكثر بالمقارنة مع الشعر العربي. ومن هذه الفروقات أنه يمكننا بحث تغير المفاهيم والتعابير المتداولة للعطش. أغلب الشعراء قد تحدثوا في أشعارهم عن عطش الإمام وعائلته، أو أنهم وصفوا خجل العباس لعدم قدرته على إيصال الماء للخيم. كما هو الحال أيضاً عند بعض أصحاب الذوق الذين نظروا إلى الموضوع من ناحية أخرى، ومع تغير المفاهيم والمعاني للماء فقد أعطوا له مفاهيم جميلة تختلف عن المعاني التي تدل عليها والمرتبطة بالخجل والعطش له:

آب شرمنـــده ايثارعلمـــدار تـــو شـــد كه چرا تشنه از او اين همه بي باك گذشت

بود لب تشنه لب هاي تو صد رود فرات رود بي تاب كنار تو عطش ناك گذشت

(نديم،١٣٨٢، ٢٢٤)

ديـــد شـــط بـــس بيقـــراري مـــي كنـــد آرزوي جانـسپـــاري مـــي كنـــد

بـــا زبـــان حـــال مـــي گـويـــد مـــدام بيـش از ايـن مپـسند مـا را تشنـــه كـام

(مجاهدي،١٣٧٦، ١٥٨)

وفي الشعر العربي يمكن أن نجد هذا المفهوم متجلياً عند الشاعر "جواد جميل" دون غيره. فقد رسم الإمام معفراً بالغبار وممزوجاً بالنور والدم، والأنهار الخجلة والعطشى والتوّاقة لوصاله، والبحار التي لا تنفك تنظر إليه:

يَـا أيُّهَـا المُمْتَـدُّ بَـيْنَ الضَّـوءِ وَ الـدَّمِ/ وَ المُكَفَّـنُ بِالغُبَـار/ظَمِئَـتْ إليـكَ الأنهُـرُ الخَجْلي/وَأَومَأتِ البِحَار(النبوءة التاسعة،)

أحياناً ذهب مفهوم العطش والماء أبعد من الحدود المادية، فقد وجد معنى سامياً ورفيعاً:

حســين تشنـــه ي آزادي وعدالـــت بـــود كـه داشـت تـا دم آخـر ز الـعطش فريـاد

وگرنـــه آب فـــرات آنقـــدر نداشـــتي ارج بچشم آنكه دو صد چشمه از زبان بگشاد

(خوشدل تهراني،١٣٦٤، ٧٥٨)

فالماء والبحر في شعر "الهي قمشه اي" هو الله والإمام هو عطش الوصال الإلهي:

بـــالله اگـــر تشـــنه ام، آبـــم تويـــي بحـــر مـــن ومـــوج وحبـــابم تـــويي

تشنـــه لبـــم تشـــنه دريـــاي تـــو لايـــم وآيينـــه ي الّـــاي تـــو

تشـنه لـبم گرچـه بـه وصـل تـو يـار بحـــر وجـــودم كـــه نـــدارد كـــنار

(١٣٨٠، ١٨٠)

ومما يجدر بالعناية أن التقابل بين العطش وعين الحياة من الصور التي استعان بها شعراء الفرس في أشعارهم:

ميخواست شاه تشنه لب، آبي زدند سنـگ بر چشمه ئي كز آن خضر آب بقا كشيد

(شيرازي، بي تا، ٤٤٥)

اين كاروان تشنـه ز هر جا گذشتـه است صد جويبار چشمه ي حيوان برآمده است

(قزوه، (٢) ١٣٨٦، ٣٧)

مظلوم و تشنه كام گذشتي كه حق گذاشت سرچشمه ي حيات ابد در دهان تو

(اميري فيروزكوهي، ١٣٥٤، ٥٠٧/١)

كما أنّ القراءة العشقية والعرفانية للشعر العاشورائي من الاختلافات الثابتة بين اللغتين أيضاً، أثناء تناول العطش في بينهما، وهذا ما نجده في توصيف "عليرضا قزوه" لشهادة أبي الفضل العباس.

تيري زدند وساقي مستان زدست رفت سنگي زدندو كوزه ي لب تشنگان شكست

شد شعله اي العطش تشنگان بلند باران تير آمد و بر چشم ها نشست

تا گوش دل شنيد صداي الست دوست سرشد"بلي"ي تشنه لبان مي الست

ناگاه بانگ ساقي اول بلند شد پيمانه پر كنيد،هلا عاشقان مست

باران مي، گرفت وسبوها كه پر شدند در موج تشنگي چه صدف ها كه در شدند

٣-٢ الشهادة والموت:

كيف يمكن لشخص ما أن ينظر إلى اللوحة الكربلائية ولا يجد فيها أي أثر للون الأحمر، وكيف يمكن له أن ينشد القصائد في عاشوراء دون أن يذكر الشهادة؟ الشهادة، هذه النهاية الجميلة وعاشوراء السماوية والاتصال بين التراب والكواكب، والصورة التي رسمت على تراب كربلاء في يوم عاشوراء مرات ومرات، وهي المفهوم الجمالي والرفيع الذي جذب أنظار الشعراء وأحاسيسهم إليه، كما أنها قسم من المفاهيم السامية للشعر العاشورائي.

انعكس مضمون الشهادة في الشعر العاشورائي العربي والفارسي بطريقتين. أحيانا نراه قد تجلى عند الشعراء من خلال بيان واقعة عاشوراء ورسم جزئياتها، وذِكرُ شهادة الشخصيات في هذا الشعر صراحة أو من خلال التعابير التخيلية التي أوردها الشعراء، وأحياناً أخرى أخذت الشهادة معنىً أبعد من تلك الواقعة من خلال كلام الشعراء عن الشهادة والموت في عاشوراء ونظرة العاشورائيين إليها.

عند تصوير مشاهد الشهادة نجد أنّ الشعراء قد استخدموا تعابير وتصاوير صريحة، تعابير مُزجت بالحزن والألم وأعطت النظرة العزائية لكربلاء. هذه التعابير المذكورة غير

قابلة للبحث والنقاش. وإنّ التحليلات والمقايسات المتعلقة بهذه التعابير قد شرع بها الشعراء لتوضيحها وبطريقة غير مباشرة. بعض هذه التعابير مشتركة بين شعراء اللغتين، منها "الطيران"، فالسياب في تصويره لمشهد شهادة علي الأصغر يشبهه بالطائر العطشان الذي ظهر أثناء طيرانه:

فَاهْتَزَّ وَاخْتَلَجَ إخْتِلَاجَةَ طَائرٍ ظَمْآنَ رَفَّ وَمَاتَ قُرْبَ المَاءِ

(بحر العلوم، ١٤٢٨، ١٠٤)

ويقول قيصر وهو يصور مشهده:

پرواز خون به قلّه اعجاز كرده أي اي شاهباز راز كجا اوفتاده اي؟

(براتي پور، بي تا، ٤٨)

تا كه پروازي به بال جان كنند در هواي دوست، جان افشان كنند

(اسرافيلي، ١٣٧٨، ٨٥)

كما هو واضح لنا فإنّ هذه التعابير قد طُرحت في الشعر الفارسي بشكل أكبر مما نجده في الشعر العربي ومنها: "الشمس المخضبة بالدماء، حصاد المزرعة، غروب الشمس، ذبول الزهور، تساقط النخيل" و... وغيرها من التعابير التي استخدمها الشعراء الإيرانيون في تصوير مشاهد الشهادة:

تن صد چاك قاسم زير شمشير ورق مي خورد همچون دفتر گل

چو نخل از تيشه ي بيداد افتاد كنار علقمه آب آور گل

(ده بزرگي،١٣٧٣، ٩)

ياران مرز و بوم/اين فوج فوج/خورشيدهاي سرخ/كه در ورطه ي جدال/از روز مي روند (صفار زاده، ١٣٨٤، ١٧٧)

كما أنّ النظرة العرفانية والعشقية للشهادة من التعابير المتداولة في الشعر الفارسي سابقاً:

دست غيب از پرده مي آيد برون باده مي ريزد به رنگ سرخ خون

(اسرافيلي، ١٣٧٨، ٩٠)

وانكـو وفـا نمـود بـه فرزنـد مرتضـى صـهباي وصـل دوسـت ز جـام رضـا كنيـد

(شيرازي، بي تا، ٤٤٥)

فالشاعر قد وصف الشهادة كارتشاف للشراب. طبعاً هذا التعبير العشقي لمفهوم الشهادة يمكن أن نجده في شعر "الفرطوسي" أيضاً، فهو يجسد نفسه للمخاطب بالفراشة التي تسقط في النار:

فَتَهَـــاوُوا عَلَـــي سَـــعِيرِ الْمَنَايَـــا كَهَـــوِيّ الْفَـــرَاشِ فَـــوْقَ الضِّـــيَاءِ

(١٩٧٨، ٣/٣١٢)

فالفراشة رمز العشق والتضحية التي تدور حول معشوقها بشكل جنوني، وفي نهاية الأمر تفديه بروحها. "التخضب بالدم ولبس الأحمر" أيضاً من تعابير الشعراء العرب غير المباشرة في توصيف شخصيات الشهادة:

خَضَّـــبُوهُ بِـــدَمِ النَّحـــرِ وَقَـــدْ شَـــعَّ مِنْـــه عَبَـــقُ المِسْـــكِ فَفَاحَـــا

(طعمة،١٤٢٢، ٦٥)

بِـــأبِي اللَّاسِـــبُونَ حُمْـــرَ ثِيَـــابٍ طَـــرَّزَتْهُنَّ سَـــافِيَاتُ الرِّيَـــاحِ

(السيد الموسوي، ١٤٠٩، ٥٤)

أما النظرة الإجمالية لمفهوم الموت والشهادة، وعلى الرغم من أننا بدأنا البحث بالحديث عن الاختلاف في نظرات شعراء اللغتين إلى الموت والشهادة، إلا أننا من خلال دراسة الأشعار التي جُمعت والمتعلقة بموضوعنا هذا، لم نكن لنجد اختلافاً كبيراً في نظرة الشعراء لهذه القضية على الرغم من وجود الاختلاف الذي ذكرناه.

استخدمت لفظتا "الشهادة والموت" في قاموس شعراء اللغتين، وارتبط مفهوم الشهادة فيه بهالة من القدسية والعظمة. وهذا الأمر ينبع من المنشأ الثقافي الوحيد لهما وهو الإسلام والقرآن، فالموت في سبيل الله غاية مقدسة وللشهداء منازل عالية. مع وجود هذه الروح الكلية التي تحكم كلا اللغتين، فكل واحدة منهما، وبوحي من الميراث الديني، تظهران تعابير مختلفة ومتفاوتة للموت والشهادة. في أكثر الشعر العاشورائي الفارسي قد تم التأكيد على الخلود والحياة الأبدية في الشهادة. طهماسبي:

شـروع زنـدگي جاودانـه بـا يـار اسـت درين غريب كشي، مرگ اختياري ما

(صاحبكاري، ١٣٧٩، ٣٤٦)

شهريار:

چون نيك مي نگري زنده اين شهيدانند وگرنه هر بشري زاد ومرد ومدفون شد

(محمد زاده،١٣٨٦، ١١٥٩)

مؤيد:

هر كس شهيد ما شد، جاويد زنده ماند با پنجه ي شهادت، بر مرگ در ببنديد

(قزوه،(١)١٣٨٦، ٥٥)

يمكن أن نقول أنّ الشعر الفارسي ونظرته حيال الشهادة قد استند على الآية القرآنية: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة/١٥٤). كما أنّ الشعر العربي أيضاً قد تأثر بهذا المفهوم القرآني العظيم، ويمكن أن نجد في كثير من الأشعار أنّ مفهوم الحياة والخلود موجود في طريق الشهادة. ومن هؤلاء الشعراء الشاعر "سعيد عسيلي" الذي يعتقد أنّ الأشخاص الذين يلحقون بركب الشهادة هم الوحيدون الذين ينعمون بالخلود ويعبرون مسير الهداية باليقين وطريق الحق بالمعرفة:

مَا كُلُّ مَنْ بَذَلَ الدِّمَاءَ غَدَا لَهُ رَكْبُ الشَّهَادَةِ فِي الخُلُودِ مَسَاعِفُ

إلّا الَّذي إغْتَرَفَ الهُدَي بِيَقِينِهِ وَعَلَي المَحَجَّةِ سَارَ وَهُوَ الْعَارِفُ

(١٤٠٦، ٤٣٥)

وفي الطرف المقابل في الشعر العربي، فإنّ التعبير الحسي والذوقي للموت في أغلب أشعار الشعراء مفهوم له إشارة من العذوبة في سبيل الله. كما أنّ هذا التعبير يحمل في طياته مدلولَ الميراث الديني وكلام أصحاب الإمام في يوم عاشوراء. ويعبّر "قاسم بن الحسن" عن الموت ويراه أشد حلاوة من العسل:

حَلَلْتَ الطَّفَ حَيْثُ المَوْتُ أحْلَى مِنَ المَاءِ الزُّلَالِ إذَا تَهَادَى

(طعمة،١٤٢٢، ٨٤)

ذِكْــرَي الإبَــاءِ يَــرَي المَنِيَّــةَ، مَاؤُهَــا أصْــفَي مِــنَ النَّبــعِ الــذَّلِيلِ وَأعــذَبُ

(جمال الدين،١٤١٥، ٥٠٥)

فِئَــةٌ بَايَعَــتْ عَــلَى المــوتِ لَــمَّا وَجــدَتْ مُـرَّطَــعْمِهِ سَــلْسَبِيلَا

(الهاشمي،١٤٠٦، ١/٢٥٩)

وَلِـلشَّــهَادَةِ طَعْــمٌ لَــمْ يَذُقــهُ سِــوَي الشُّــمُ الأُلَــي أقْسَــمُوا،إنْ يُظْلَمُــوا ثَــارُوا

(شكور،١٣٨٣، ٢٠٩)

وفي مواضع أخرى من الشعر الفارسي فقد تمّ التأكيد على ذلّ الموت وحقارته:

بـودي حسـين شـمع حقيقـت نمـا بحـق پــروانه وار گــرد وي احــرار نامــدار

مـرگ آنچنـان حقيـر، بنزديـك هـر يكـي كـز ديـر جـان سـپردن خـود بـود دلفكـار

(ناظرزاده كرماني،١٣٦٩، ١٥٦)

ويعتبر "الكرمارودي" الموت كحيوان حقير يشبه الذبابة:

مـرگ در پنجـه تـو/زبـون تـر از مگسـي سـت/ كـه كودكـان بـه شـيطنت در مشـت مـي گيرند(سنگري،١٣٨٦، ٢٨)

كما يعد التعبير العشقي - كما يراه فؤاد كرماني - للموت من الخصائص السائدة في الشعر الفارسي/١٧٤:

آنكـه هلاكـش نمـود، سـاعد سـيمين يـار باز به آن ساعدش كشته شدن آرزوست

ومن خصائص الشعر العربي في هذا المجال ارتباط الموت بالفضائل الخُلقية كالشرف والمجد والكرامة التي طرحت في بعض أشعار الشعراء العرب:

وَشَــهَــادَةٌ نَبــوِيةٌ عَبـاَقَــةٌ بِالطِّيــبِ أو بِالمَجْــدِ حَنَّطَهَــا الــدَّمُ

(نورالدين،١٤٠٨، ١٦٧)

ويعتبر "نزار سنبل" الموت في سبيل الحسين والفداء في طريق الإسلام أساساً للشرف:

شَــرَفٌ أن نَمُــوتَ دُونَ حُسَيــنِ وَنُفُــوسٌ نُفــدِي بِهَــا الإســلَامَا

(الحسن،١٤١٨، ٣٩٢)

ويصور "الهاشمي" الإمام في الحرب – وهو يسلّ سيفه من غمده للمحافظة على الحق وطريق الأصول والمبدأ- الذي يحتضن الموت بين ذراعيه وبصدره لأنّ الموت في سبيل الله مبدأ عظيم ونصر له:

بَـــل سَـــلَّ لِلحَـــقِّ سَيـــفَاً لَيـــْسَ يَغْمِـــدُهُ ... إلَّـــا بِـــصَـــدرِ أعَـــادِيـــه إذَا هَـــــدَرُوا

أو يَحْضُـــنَ المَـــوْتَ قَـــتْلاً دُونَ مُبدَئـــهِ ... وَالمَـــوْتُ فِـــي اللّٰهِ فِيـــهِ المَجْـــدُ وَالظَّفَـــرُ

(١٤٠٦، ١٨٢/١)

٤-٢ الغم والحزن والألم:

واقعة عاشوراء من الوقائع المثيرة والحافزة، وفي الوقت ذاته واقعة أليمة في أذهان العاشورائيين الذين يمثلون مظهراً كبيراً للطهارة والقداسة. من الضروري أن تنعكس هذه الواقعة وأفرادها، وتتجلى في العواطف المختلفة للبشر وآثارهم. إن واقعة عاشوراء تشمل جميع الأحاسيس: كالهيجان والحماسة، واللوعة والحزن، والعشق والوصال، والغضب والتنفر. وبالنظر إلى نوع نظرة الشعراء إلى الواقعة وجوانبها المختلفة، فإننا نجد أحياناً العاطفة جلية أكثر في أشعارهم. لذلك، فالعاطفة واحدة من أوسع مضامين الشعر العاشورائي العربي والفارسي، سواء أشار الشاعر إلى الموضوع صراحة، أو أنه تطرق إلى مواضيع أخرى، فالعاطفة تبقى العنصر الضروري والدخيل في شعر الشاعر. إنّ غلبة البعد الأليم واللاهب لواقعة عاشوراء والنظرة العزائية لها، أجبرت الشعراء على إبراز الغم والدمع والحسرة والعاطفة في هذا النوع من الشعر. يتجلى مضمون هذا الشعر العاشورائي بشكل صريح ومباشر من خلال عدة أشكال: الشروع بالألم ومصائب شخصيات عاشوراء أثناء الواقعة، والحديث عن غم وحزن كائنات العالم أجمع، وتوصيف الحزن والغم الداخلي للشعراء. كانت هذه مواضع الاشتراك والتشابه في الشعر العاشورائي العربي والفارسي، وبسبب كثرة الأبيات الشعرية اكتفينا بذكر نماذج عن كل منها.

٤-٢-١ ألم الشخصيات:

يقول "سيد رضا هندي" عن ألم وحرقة زينب: كيف تنظر إلى رأس الحسين والغم والحزن يعتريها:

وسَـــرَوا بِرَأسِـــك فِي القَنَـــا وقُلوبُهَـــا تَسْـــمُو إليـــه وَ وَجْـــدُها يضْنِيـــهَا
إنْ أَخَّـــرُوهُ شَجَـــاهُ رُؤيـــةُ حَالِهَـــا أَو قَـــدَّمـــوُهُ فَحَالُـــه يشْجِيـــهَا

(١٤٠٩، ٤٧)

أو يصور الشاعر حال الإمام في مصابه الجلل أثناء شهادة علي الأكبر و قد انهارت قواه:

وحَنَـــتْ عَلَيـــهِ مِـــنَ الْحُسَـــينِ جَـــوَارِحُ مَشْـــــبُوبَةً بِـــــالْهَمِّ والأَحْـــــزَان
مُـتَـمـــزِّقَ الأحْشَـــاءِ مُنْهَـــدَّ القُـــوي مُتَلَـوِّعَـــاً مُتَحَطِّـــمَ البُـنْيـــــَان

(العسيلي،١٤٠٦، ٤٣٤)

ويقول سيد رضا مؤيد في الشعر فارسي بلسان الإمام السجّاد:

خواهر كوچك من، همچو گلي پرپر شد اشك من، از غم او، شمع شب تار من است

(انساني،١٣٨٦، ٤٠١)

ويصور الشاعر الايراني سازگار حالة الحرّ بن يزيد الرياحي وحزنه مما ارتكبه من الجناية:

آنقدر چهره به خاك درِ جانان پوشيد آنقدر در بر مولا به تضرّع كوشيد
آنقدر خون دل از ديده گريان نوشيد تا يم واسعه ي رحمت يزدان جوشيد

(محمد زاده،١٣٨٦، ١٣٥٢)

(ر.ك: قزوه، (١)١٣٨٦، ٢٥٧؛ مشفق كاشاني،١٣٦٥ ، ٢٥٨؛ همايي،١٣٦٤، ١٢٨؛ ده بزرگي، ١٣٧٣، ٤١؛ بيابانكي، ١٣٨٧، ٦٢؛ معلم، روايت حر؛ طعمة،١٤٢٢، ٢١٥؛ بحرالعلوم،١٤٢٨، ٣٨٢،٣٨٠)

٢-٤-٢ حزن مخلوقات العالم:

إنّ الحديث عن حزن مخلوقات العالم على مصيبة الإمام الحسين أمر طبيعي، وكان هذا الموضوع محط اهتمام شعراء ومنشدي عاشوراء. كما أنّ هذا الموضوع أيضاً قد انعكس صداه وبقوة في الشعر المعاصر:

آفـاق در عـزاي تـو رنـگ شـفق گرفـت　　آنـدم كـه ديـد در يـم خون،شستشـوي تـو

(سبزواري،١٣٧٩، ٥٦)

اين چه غوغاست كه در ارض وسما مي بينم　　صـفحه خـاك پـر از مـوج بـلا مـي بينـم

فلك از آتش بيداد پر و بال كـه سوخت　　كـه پريشـان همـه مرغـان هـوا مـي بينـم

(رسا،١٣٤٠، ٣٩١)

ويقول "سلمان هادي طعمة" عن نواح وبكاء السماء والأرض على شهادة الإمام وحزن المخلوقات وقلوبها المضطربة؛ إنّه حزن لن ينسي أبداً.

لِمَـــــنْ تَنـــــدَبُ الأَرْضُ أَنْسَـــــابَهَا　　وَتَبْكـــــي السَّمَـــــاوَاتُ كيْوَانَـــــهَا

وَتَهْتَـــــزُّ شَـــــجْوَاً قُلُـــــوبُ الأَنَـــــامِ　　وَقَـــــد شَـــــدَّدَ الخَـــــطبُ أَحزَانَهَـــــا

أَتَنْسَـــــي الحُسَيـــــنَ وَأَصْحَابَـــــهُ　　فَسَـــــلْ كَـربَـــــلاءَ وَأَشجَـانَهـــــا

(مجيب مصري، ١٤٢١، ١٠٧)

ويجد الشاعر المسيحي "بولس سلامة" الحزن على الإمام في الطبيعة الحيّة وصوت الجداول وفي نسيم الصبا و ذبول الأزهار واسوداد البراعم:

أكـادُ أسْـمَعُ فِـي هَمْـسِ الغَـدِيرِ جَـوي　　وَفِـي نَسـيمِ الصَّـبَا آهـاتِ مُكتَئِـبِ

فَصَـــوَّحَ الـــوَرْدُ و إسْـــوَدَّت بَرَاعُمُـــه　　والغَـــمُّ أَطْفَـــأَ زَهْـــرَ المُنْبِـــتِ العَشِـــبِ

(١٤٢٥، ٣٠٧)

(ر.ك: العسيلي،١٤٠٦، ٤٨٣،٥٢٧؛ الخاقاني، ١٤٠٨، ١٢/٣٧٩؛ شكور،١٣٨٣، ٢١٦؛ البحرانـي، ١٤٢٦،٥٨٠؛ بحرالعلـوم، ١٤٢٨، ٤٩٠؛ انسـاني، ١٣٨٦، ٦٠؛ قـزوه،(٢)١٣٨٦، ٣،٢١،٢٠ ٢؛ بيابـانكي،١٣٨٧، ٧،١٣٦؛ نـديم،١٣٨٢، ٢٢٣؛ شـيرازي،بي تـا،٤٤٧؛ الهـي قمشه اي، ١٣٨٠، ٢٢٠؛ چايچيان،١٣٧٣، ١٨١)

٣-٤-٢ وصف المشاعر الداخلية للشاعر:

إنّ دراسة أشعار شعراء عاشوراء في الشعر العربي والفارسي تشير إلى أنّ الشعراء العرب قد أظهروا عواطفهم الداخلية الحزينة والجيّاشة حيال مصيبة كربلاء أكثر من الشعراء

الإيرانين. وفي الطرف المقابل فإنّ وصف الغم والحزن في الشعر الفارسي قد طُرح أكثر من الشعر العربي. ففي شعر "قيصر" نجد فضاءاً يعمه الحزن والألم من خلال استخدامه لألفاظ مثل: الألم يعتصر قلبي، والليل، واللطم، والنواح، و....

چند وقت است دلم مي گيرد — دلم از شوق حرم مي گيرد
مثل يك قرن شب تاريك است — دو سه روزي كه دلم مي گيرد
دستهي سينه زني در دل من — نوحه مي خواندودم مي گيرد

(محمدزاده، ١٣٨٦، ١٥٣٢)

ويقول السياب عن دموعه الصامتة والساكنة: إنها تجري من عينيّ، ومن هول واقعة كربلاء ترى قلبي وجسدي يرتجفان ويتزلزلان:

وَاسْتَقطَرَتْ عَيني الدُّمُوعَ وَرَنَّقَتْ — فِيهَا بَقَايا دَمْعَةٍ خَرْسَاءِ
ذِكري اَلَمَّت فَاقْشَعَرَّ لَهَولِهَا — قَلبِي وَثَارَ وَ زَلزَلَتْ أَعْضَائِي

(بحر العلوم، ١٤٢٨، ١٠٤)

(ر.ك: شبّر،١٤٠٩، ٢٧١/١٠؛ سلامه،١٤٢٥، ٣٠٨؛الحسيني،١٤٢٧، ١٣٣؛هندي،١٤٠٩، ٤١و ٥٥؛ الخاقاني،١٤٠٨، ٥ / ١٧٨)

إنّ النظر إلى المواضع المذكورة أعلاه وغيرها من الأبيات، يتبين لنا جلياً أنّ أغلب الشعراء يتناولون المفهوم الظاهري للدمع والحزن، ومن زوايا أخرى وبشكل خاص فلسفة الدمع وآثاره، فقد تحدث الشعراء بشكل أقل عن إحياء نهضة عاشوراء ورعاية المراسم الحسينية. طبعاً، إنّ هذه النظرة الخاصة لهذا الموضوع يمكن أن نجدها في أشعار بعض الشعراء الإيرانيين أمثال "موسوي كرمارودي" و"فؤاد كرماني" التي يمكن من خلالها أن نجد الفرق في تناول الشعر العاشورائي في الشعر العربي والفارسي. ففي شعر "كرمارودي" يتحول الدمع إلى سلاح بيد البطل من أجل القتال، والدمع عنده سيف يحدُ من الظلم، وهو استمرار لنهضة الحسين:

بگذار بگريم / خون تو، در اشك ما تداوم يافت / و اشك ما، صيقل گرفت / شمشير شد / و در چشمخانه ستم نشست. (سنگري،١٣٨٦، ٣٢)

وفؤاد كرماني يرى إقامة الندبة والعزاء للإمام أحياء للإسلام: (١٣٨٥، ١٨٦)

چون بـه جهـان خرّمـي جـز غـم روي تـو　　بـاده كشـان غمـت مسـت شـراب غمنـد

عـقـد عـزاى تـو بسـت سنـت اسـلام وبـس　　سلسـله ي كائنـات حلقـه ي ايـن ماتمنـد

إنّ هـذا الشـعر تعبير عرفاني وعشـقي لـلألم والحـزن، الحـزن الـذي يـثير نشـاط العـالم ويطلبه مُعزو الحسين. هذه النظرة نراها واضحة في شعر "بيابانكي":

چـه بـــود نيـــت ناآشـــكار ســـاقي غـــم　　كـه جـام زينـب غمديـده را لبالـب ريخـت

(١٣٨٧، ١٣٦)

ويرى "ياسر بدر الدين" أنّ الغم والحزن تعبير عن الشراب الذي يجري مجرى الدم في الجسم. غم الحسين عنده كالدم الذي يفور بغزارة في عروقه، ويصف أساس حياته، وكيف يستقبل الحزن ويحتضنه بكل رحابة صدر:

خَمْـــرَةُ الحُـــزْنِ فِـــي دِمَـــائِي غُلِّـــي　　مَرْحَبَـــاً يـــا دِنَـــانُ... يـــا أَقْـــدَاحُ

(نورالدين، ١٤٠٨، ١٩٠)

إنّ الميل إلى استخدام الإبهام والاستفادة من اللغة الخيالية، من الوسائل الأخرى التي نراها شاهدة في الشعر الفارسي حيال الشعر العاشورائي، وبشكل خاص في العقود الخيرة من هذا القرن. هذا ما نجده في تصوير مفهوم الحزن والألم في الشعر:

آن گاه در عرش / آيينه ي چشم ملائك موج برداشت　　(حسيني،١٣٨٦، ٩٢)

بعد از فرو فتادن خورشيد / از شانه هاي مضطرب / صبح /فردا هميشه غم زده و گنگ / در هيئت غبار مي‌آيد　　(هراتي،١٣٦٨، ٦٤)

يـبـْدَأُ الـحُـزْنُ فَجْـأَةً تَـبـْدَأُ الدَّمْعَـةُ　　فَصْـــلَ الطُّفُـــولَةِ الأَبَـدِيـــة

تَرْتَـدِي لَحْظَـةُ البُـكاءِ عَمَـي اللَّيـْلِ　　وَبُقيـــا نُجُومـــهِ الخَـــزَفِيةِ

ينتَهِـي الحُـزنُ فَجـأَةً، تأخُـذُ الدَّمْعَـةُ　　بُعْـــدَ الرُؤيـــا ولَـــوْنَ الشَّـــظِية

(جميل، الرؤيا الرابعة)

على الرغم من أنّ الحسين بن علي عليه السلام هو مهوى جميع الأديان والفرق والمصيبة التي

ألّمت به قد آذت وأحزنت جميع القلوب، إلا أنّه مع عرض وتناول هذه التمايلات المذهبية- أحياناً- نجد أنّ الحزن والألم هذا قد ارتبط بتصاوير الشيعة فقط:

از شام تلخ غريبان /تا اربعين / مسافت اشك آلودي است / اشك صفوف شيعه ي شيدا / همراه اشك زينب كبري (صفارزاده، ١٣٨٤، ١١٠)

شهريار: محرم آمدو نو كرد دردو داغ حسين — گريست ابر خزان هم به باغ و راغ حسين

هزارو سيصد واندي گذشت سال وهنوز — چو لاله بر دل خونين شيعه داغ حسين

(محمد زاده،١٣٨٦، ١١٥٩)

حَمَامَـــــةٌ عَلَـــــي حَصَـــــان — وَاقفَـــةٌ علَـــي مَـــدَاخِلِ الزَّمَـــان

تَصيحُ قَبلَ بَدءِ البَينِ / مَظلُومُ يا حُسَين / حَمَامَةُ الفَجِيعَة

تَنُوحُ قَبلَ بَدءِ المَوتِ والحَياةِ فِي الطَّبِيعَةِ / تَنُوحُ بِاسمِ الشِّيعَة

(شمس الدين،١٩٩٣، ٤٠٥)

ومن المصطلحات التي نجدها في استعمالات الشعراء العرب في عاشوراء تعبير "بكاء الدم" الذي يأتي به الشاعر للتعبير عن عواطفه واحساساته أو باقي الموجودات والكائنات:

لَـــو أنّ دُمُـــوعِي إســـتَهَلَّتْ دَمَـــاً — لَمـــا أنصَـــفتُ بِالبُكـــا مُسْـــلِما

(هندي،١٤٠٩، ٥٥)

حسين كاشف الغطاء:

نَفـــسٌ أَذَابَتْهَـــا أَسَـــي حَسَـــراتُهَا — فَجَـــرَتْ بِهَـــا مُحْمَـــرَّةً عَبَراتُهـــا

(بحر العلوم،١٤٢٨، ٤٨٦)

عبدالحسين الجواهري:

حَـــقُّ أنْ تَسْـــكبِي الـــدُّمُوعَ دِمَـــاءَا — يـــا جُفُـــونِي أو أَنْ تَسِـــيلي بُكـــاءَا

(الخاقاني،١٤٠٨، ١٧٨/٥)

(ر.ك: آل طعمـــة، ١٤٢٢، ٦٦؛ الأمين،بـــي تـــا، ٣٤٤؛ الخاقـــاني،١٤٠٨، ٣٧٩/١٢؛ بحرالعلوم،١٤٢٨، ٣٨٢)

على الرغم من أن الشعراء في الشعر العاشورائي يدعون مخاطبهم للبكاء وإقامة العزاء لسيد الشهداء:

بـا كـاروان نيـزه شـبي را سـحر كنيـد باران شويد وبا همه تن گريه سر كنيد

(قزوه،(٢) ١٣٨٦، ١٩)

إلا أنّ البعض أيضاً لا يكتفون بهذا القدر من التعبير والوصف، بل يبحثون عن معان أكثر بعداً من البكاء:

همين نه گريه بر آن شاه تشنه لب كافي است اگر چه گريه بر آلام قلب، تسكين است

(خوشدل تهراني، ١٣٦٤، ٧٤٥)

مما لاشك فيه أنّ روح الحماسة والمواجهة والظلم القاسي من أهم العناصر الرئيسة التي يحتاجها الشعراء والمجتمع الجديد، والتي يستلهمونها من واقعة عاشوراء. يريد "موسى زين شرارة" الكفّ عن ذرف الدموع، لأن الحسين رائد الثوار في العالم:

كفكـفْ دُمُوعَـك فَـابْنُ حِيـدَرٍ قُـدوَةٌ لِلثَّـائِرينَ ورائـدٌ وَمُعَلِّـمُ

(نورالدين،١٤٠٨، ١٦٧)

إنّ موقف الشعراء الإيرانيون أكثر توازناً من الشعراء العرب. فهؤلاء وقفوا أمام العالم الذي شهد واقعة كربلاء وذرف الدموع عليها، وسخروا منهم ومن بكائهم الذي يشبه النساء، في حين أنهم- العرب- أغمضوا أعينهم عن الظلم الذي لحق بسيد الشهداء:

وَخِيـامُ الحُسَـينِ نَهْـب وحُـرّا سُ حِمَاهَـا يبكونَهَـا كالنِّسَـاءِ

(جمال الدين،١٤١٥، ٢١٣)

وصف "محمد رضا فرحات" خيم عزاء الحسين بالخيم التي صارت عرضة لنهب وسلب العدو، وهذا الأمر ليس فقط في واقعة عاشوراء سنة ٦١هـ، بل في العصر الراهن أيضاً. إنّ الظروف الصعبة للمجتمع العربي والحاجة إلى روح المقاومة والشجاعة والتحدي، أدت إلى أنْ يتحدثوا عن الدمع والبكاء اللافائدة منهما. البكاء في عاشوراء ومحرم وذرف الدموع من أجلهما أمام محبي الحسين، ما هو إلا إرجاع للعزة التي فُقدت والبحث عن الجهاد والتحدي:

كـــأَنَّ ذِكـــرَاهُ فِـــي الأيـــامِ مَـــا وُجِـــدَت إلّـــا لِـثُـغْـــرِقُـهَـــا دَمْعَـــاً مَـآقِيـنَـــا

نَظِـــلُّ نَبْكِـــي ونَبكِـــي كمَـــا عَبَـــرت ذِكـــراك فِـــي الطَّـــفِ كـــي نُبْـــدِي تَآسِـــينَا

نَنْسَـــاهُ مَـــا إنْ تَمُـــرُّ العَشْـــرُ رائحـــةً عَنَّـــا فَتَـشْغِلُنَـــا الدُّنيـــا وَتُـنْسِـــينَـــا

(نورالدين،١٤٠٨، ١٨٦)

إنه يبحث بين الباكين عن المجاهدين ليعيدوا للأمة الاسلامية العزة والسلام:

يـــا مُهْـــرِقينَ عَلَـــي الحُسَـــينِ دُمُـــوعَكم أسَـــفَاً وَهَـــذي الحَادِثـــاتُ جِسَـــامُ

هَـــل فِـيكـــمُ بَـطَـــلٌ يـثُـــورُ لِعِـــزَّةٍ سُـــحِقَتْ وَهَلَّـــا فَـــارِسٌ مِقـــدَامُ؟!

(همان، ١٨٥)

٥-٢ تجلي الله في شعر عاشوراء:

على الرغم من أنّ ذكر الله ليس موضوعاً مستقلاً في الشعر العاشورائي، إلا أنّ حضوره في أشعار الشعراء يكون بصورة واضحة وجلية.

كربلاء تجلٍّ لوجود الله. إنّ كل قدم وُطأت على تلك الأرض، وكل دم أريق عليها، وكل كلام قيل فيها، لابدّ أن يذكر فيها اسم الله. إنّ عاشوراء الحسين نهضة إلهية. إنّ علاقة الله والحسين جعلتها تأخذ اسم "ثأر الحسين"، يعني أنّ الحسين بمنزلة دم الله. إنّ الدم الذي أريق من الحسين كان إحياءً لدين الله. إنّ العلاقة بين دم الحسين والله قد جذبت أنظار الشعراء في الشعر العاشورائي. ويذكر هذه العلاقة الشاعر "كرمارودي" في شعره أيضاً. كما أنّ "خوشدل تهراني" يعتبر الحسين دم الحق، الدم الذي يعادل دم الله الغالي. إنّ دراسة الأبيات التي تحكي عن حضور الله في الشعر الفارسي كثيرة، كما أن حضورها يكتسب لطافة وظرافة. هذه اللطافة التي نراها تكتسب وجودها من العلاقة العشقية بين الله وشخصيات كربلاء. وتتحول هذه العلاقة أحياناً إلى انحلال العاشق واتحاده في المعشوق، ولا يمكن الفصل بينهما حتى يصبحا اسماً واحداً. حينئذ فالمشهد الذي يتجلى ما هو إلا مشهد المعشوق وهو الله. وما يحدث هنا أن يتجلى الله في الحسين. فأشار الكرمارودي الي هذه العلاقة قائلاً:

تنها واژه ي تو خون است، خون/اي خداگون (سنگري،١٣٨٥، ٢٨)

وردّ خونت/راهي/كه راست به خانه ي خدا مي رود (المصدر نفسه،٣٦)

كما يسمي الشاعر الايراني الآخر خوشدل تهراني الأمام بأنّه ثارالله الذي يقوم هو بثأره:

اي خون حقّ كه خدا هست خونبهاي تو با دوست آشنايي وبا دشمنان غريب

(١٣٦٤، ٥٧٠)

وأثناء شهادة علي الأكبر يتجلى هذا الرب والإله، وتصبح جميع أعضاء وجوارح الإنسان جزءاً من وجود الله وعملاً من الأعمال الإلهية. ودر لحظهي شهادت علي اكبر، اين خداوند است كه عيان مي گردد:

كاينك اكبر در تجلّي گاه اوست ديگر اكبر نيست آنجا، بلكه هوست

(همان، ٢٠٣)

وبالنسبة لتجلي الله وحضوره في شخصيات كربلاء، فقليل ما نرى الشعراء العرب قد استفادوا منه. ويرى "حسين كاشف الغطاء" أنّ الإمام لسان الله وكلام الحق جارٍ على لسانه:

وَقَامَ لِسَانُ اللهِ يخطِبُ وَاعِظَاً فَصَمُّوا لِمَا عَنْ قُدْسِ أنْوَارِهِ عَمُوا

(بحرالعلوم، ١٤٢٨، ٤٨٥)

إنّ العاشق في المعشوق ما إلا حلول أحدهما في الآخر، وإنّ عمله أو فعله ماهي إلا آية وعلامة من علامات الله. ويصف "الهي قمشه اى" على لسان الإمام السجاد أن عشقه وغضبه علامة من الله:

مهر من است آيت مهر خدا قهر من است آتش قهر خدا

(١٣٨٠، ٢١٩)

وكذلك الصبر عند زينب (س):

شرح صدرش در نمي آيد به فهم اهل دل صبر زينب آيت صبر خداي زينب است

(مؤيد،١٣٧٣، ١٠٤)

أمّا في الشعر العربي فإنّ حضور الله أحياناً مقدر ومدبر في واقعة كربلاء، ويصف الشعراء أحداث كربلاء بأنها إرادة الله ومشيئته:

شَـــاءَ إلَـــهُ الكـــوْن أنْ يرْفَعَـــك فَاخْتَـــارَ فِـــي أفْـــقِ القَنَـــا مَوْضِـــعَك

(الكاظمي، ٢٠٠٦، ٣٨)

محمد حسين كاشف الغطاء:

شَـــاءَ الإلَـــهُ فَنَكسَـــت أعْلَامُهـــا وَجَـــرَى القَضَـــاءُ فَنَكصَـــتْ رَاياتُهَـــا

(بحرالعلوم، ١٤٢٨، ٤٩٠)

ويرى "محمد السماوي" أنّ شهادة الإمام دعوة من جانب الله، وما كان من الإمام إلا أن يلبي تلك الدعوة ويقول: لبيك يارب:

حَتَّـــــى دَعَـــــاهُ اللّهُ وَارْ دَهَـــــي المَقَـــــامُ الأرفَـــــعُ

فَـأجـــــابَ دَاعِـــــي رَبِّـــــهِ لَبَّـــيـــك هَـــا أنَـــا طَـيـــعُ

(شبّر، ١٤٠٩، ١٩/١٠)

ويرى أيضاً أن الإمام واسطة، ومن خلاله يهدي الله الضالين:

هَـــدَى بِـــهِ اللّهُ مَـــنْ أضَـــلَّ هُـــدَى وَمَـــنْ لِلإسْـــلَامِ صَـــدْرَهُ شَـــرَحَه

(المصدر نفسه، ٢٧)

كما أنّ حضور الله في الشعر العربي هو تشجيع وهدف لأبطال كربلاء أيضاً. وفي الحالة التي يعتبرون فيها أنهم يمتهنون المصائب والصعوبات في الحياة في سبيل الله،

لَكـــن صَـــبَرْتَ لِـــأمْرِ اللّهِ مُحْتَسِـــباً إيـــاهُ وَالعَـــيشُ مَـــا بَـــينَ العِـــدَا نَكـــدُ

(هندي،١٤٠٩، ٤٥)

نجد "محسن أبو الحب " يقول: إنهم يُحقِرون أنفسهم وروحهم الغالية في سبيل الله.

لَـكـــــمْ اللّه وَارديـــــنَ حِـياضَـــــاً لَـــمْ يـكـــنْ غَـــيرُ مَائِهَـــا مَـــوْرُودَا

وَمُـــذِلِّينَ أنْفُســـاً فِـــي سَـــبِيلِ الـــ ـــلَّهِ عَـــزَّتْ عَلَـــي المَعَـــالِي وُجُـــودا

(البحراني، ١٤٢٦، ٥٨٣)

٦-٢ إمام الزمان:

إنّ حضور إمام الزمان في الشعر العاشورائي تبين لقسم من جوانب اعتقادات الشعراء

في أشعارهم. على الرغم من محدودية وقلة هذا الحضور، إلا أنه يمكن أن نرى تأملات مثيرة في شعر اللغتين حياله. مع أنّ الاعتقاد بالمنجي - وهي أحد أبعاد هذه الشخصية - ليس في الإسلام فحسب، بل هي عقيدة عالمية ترتبط بجميع الأديان والمذاهب. أما الحديث عن المنجي بشكل عام والمهدي الموعود بشكل خاص، فهو مطروق في أشعار شعراء عاشوراء الشيعة فقط. إن نقطة تلاقي عاشوراء والمهدوية لابدّ أن تدرس من عدة نواحي: الحسين والمهدي محاربان للظلم، و المهدي وارث لثأر الحسين.

إنّ الشعار والهدف الذي وصل من الرسول إلى الإمام الحسين قد تجلى بشكل خاص في عاشوراء، ومن جانب آخر فقد بقي هذا الشعار مستمراً في نسل الحسين، وفي النهاية فإن الطريقة الحسينية ستتحقق في نهضة المهدي. ومن هذا المنظار يُنظر إلى أنّ الحسين والمهدي هما نقطة البداية والنهاية في تحركما المشابه لمواجهة الظلم وتحدي الباطل ومقاومته. هذه النظرة نراها في شعر "صفار زاده":

امام مي داند/كه سلسله ي حق/برابر باطل/پس از شهادت او/با زندگاني وشهادت فرزندانش/ يكي پس از ديگري/ رويه ادامه است/ رويه روزگار ظهور(١٣٧٨، ٧٦)

إذا كان المهدي محيي نهضة الحسين، فإنه وارث لدمه وثأره أيضاً، هذا الدم الذي سال على أرض كربلاء ظلماً وعدواناً، وطوال هذه السنوات لم يستطع أحد أن يأخذ بحق دمه، إلى أن يأتي الوارث الحقيقي للحسين وينتقم له.

إنّ تقديم الإمام كمنتقم للحسين قليل جداً في الشعر العاشورائي. و في هذا المنحى يُصور هذا المجتمع صامتاً راكداً ينتظر قدوم من يأخذ بثأر الحسين. يتحدث "محمد حسين كاشف الغطاء" عن الألم والحرقة اللاهبة التي تعتريه: سننتظر حتى ظهور الإمام القائم، الذي سيأتي ويحرر أرواح المحزونين وينتقم من المعتدين:

يـا لَوْعَـةً قَعَـدَتْ وَقَامَـتْ فِـي الحَشَـا ... خَرْسَـاءَ تَنْطِـقُ بِالشَّـجَى نَفَثَاتُهَـا

قَعَـدَتْ وَلا تَنْـفَك أَوْ أَرْزَاؤُكـمْ ... بِقِيـامِ (قَـائِمِكمْ) تُصَـابُ تَراثُهَـا

فَـانهَضْ فِـدي لَـك أَنفُـسٌ كمِنَـتْ بِهَـا ... طَـيرُ الشُّجُـون كأَنَّـهَا وُكنَـاتِهَـا

(بحر العلوم، ١٤٢٨، ٤٩٢)

مـاه اسـتمداداز آن غـوث الـورى اسـت آنكـه خونخـواه شـهيد كربلاسـت

(غفور زاده، ١٣٨٤، ٢٤)

لكنّ إمام الزمان في الشعر العربي والفارسي ليس أكثر من أن يكون منتقماً. إنّ بلبلة الأوضاع وعدم استقرارها والظلم الذي يعمّ المجتمعات والتشدد في الدين و...، دلالة واضحة وتأكيد على ظهور المنجي بين الناس. هذه النظرة والوصف لشخصية الإمام وبشكل خاص في الشعر العاشورائي الفارسي نراه جلياً وواضحاً. يرى الناس أنّ إمام الزمان ملجأ وملاذاً لهم في مصاعب الحياة، ويَشْكون إليه الظلم الذي يعانون منه، ويطلبون منه أن يخلصهم من البلاء الذي عمّ البلاد.

يـا صَـاحِبَ العَصْـرِ أَدْرِكنَـا فَلَـيسَ لَنَـا وِرْدٌ هَنِـيٌّ وَلَـا عَـيشٌ لَنَـا رَغَـدُ

طَالَـتْ عَلَينَـا لَيالِـي الإِنتِظَـارِ فَهَـلْ يـا بْـنَ الزَّكـي لِلَيـلِ الإِثْتِظَارغَـدُ

فَـانهَضْ فَـدَتْك بَقَايـا أنفُـسٍ ظَفَـرَتْ بِهَـا النَوائـبُ لَمَّـا خَانَهـا الجَلَـدُ

(هندي، ١٤٠٩، ٤٥)

يشتكي "مهدي مطر" من زيادة غياب الإمام، ويسمي الإمام قائماً ومنجياً للأمة:

فَيـا قَائِمَـاً طَـالَ مِنـهُ الغِيـَابُ عَلَـي أُمَّـةٍ حَظُّهـَا قَاعِـدُ

مَتَـي يسـتَنِيرُ بِـك الخَافِقَـان وَيلمَـعُ نَجْمُهَـا الخَامِـدُ

(بحر العلوم، ١٤٢٨، ٤٩٢)

إنّ صعوبة الحياة وطول الانتظار، وضيق الأحوال في العصر الجديد جعلت الشعراء يملون ويعجزون، حتى أنهم لا يجدوا ملاذاً ومنجياً إلا في شخصية إمام الزمان. يربط "جمال الدين الهاشمي" عاشوراء ورموزها بالعصر الحاضر. ويتحدث عن أعداء هذا العصر واليزيدين الجدد والمطالبين بالحق والحسينيين، ومطلبه الوحيد هو النهضة:

يـا صَاحِـبَ الأَمْـرِ يكفِيـك السُّكوتُ فَقَـد حَاطَـتْ بِكـلِّ سَـرَايانَا أَعَادِينَـا

ضَـاقَ الخِنَـاقُ بِنـَا فِـي كـلِّ نَاحِيـةٍ فَـلَا مَـلَاذَ لَنَـا إِلَّـاك يـنْجِينـَا

فَـانهَضْ فَكـم مِـن حُسَـينٍ غَـصَّ فِـي دَمِـهِ فِينَـا وَكـم مِـن يزِيـدٍ فِـي نَوَادِينَـا

(١٤٠٦، ١٨٠)

اي جمـــال روشـــنت از مـــا نهـــان　　اي جهـــان جـــان واي جـــان جهـــان
در گـــلوي ني، نـــواي مـــا ببيـــن　　كـــل ارض كربـــلاي مـــا ببيـــن
قطـــره قطـــره اشـــك مـــا دريـــا شـــده　　روزهـــا هـــر روز عاشـــورا شـــده
غـــم زيـــاد وصـــبر مـــا كـــم شـــد بيـــا　　مـــاه هـــاي مـــا محـــرم شـــد بيـــا

(غفور زاده،١٣٨٤، ٢٤)

هذه الأبيات تشير إلى المجتمع الصامت الهامد الذي يكتفي بالشكاية والأمل بالمستقبل أمام الظالمين وظلم الأقدمين. يتحدث هذا المجتمع عن ظهور المنجي: إنّ العطش لظهوره موجود، لكن لا يوجد أي استعداد يمهد له ولحضوره. إنّ الثورة الإسلامية وتحقيق بعض أهداف النهضة الحسينية أدت إلى بروز هذه الروح المعنوية والمقاومة والتحدي في الشعر العاشورائي الفارسي:

مـــا پـــيرو آفتـــاب عاشورائيـــم　　در ظلمـــت شـــب شـــهاب عاشورائيـــم
تـــا رجعـــت وفجـــر قـــائم آل علـــي　　پـــرچم كـــش انقـــلاب عاشورائيـــم

(ده بزرگي،١٣٧٣، ٦٨)

كلام الشاعر بيان عن حالة المجتمع، وإنّ الاقتداء بشخصيات عاشوراء يؤدي إلى تمزيق السلاسل الرخوة التي تُقيدنا، وراية الجهاد والمواجهة تعتلي الأكتاف وتحارب الأعداء. هو لا ينتظر الظهور، بل يجعل المواجهة أمامه.

٧-٢ كربلاء:

كربلاء الأرض التي احتضنت واقعة عاشوراء العظيمة وأرض الحماسة التي انتصر فيها الدم على السيف، ومجمع الحوادث المختلفة، ومشهد الشجاعة والحماسة والآلام والمصائب والدموع والأحزان والدماء والسيوف، وجميع اللوحات المختلفة والجميلة قد نُقشت على صفحة هذه الأرض. من هنا تعتبر كربلاء عنواناً وموطناً للحماسة التي نظمت في أشعار عاشوراء، والشعراء من خلال هذا النوع من الشعر تحدثوا عن هذه الأرض وعرّفوها للقراء. إنّ وصف الشعراء لكربلاء يتناسب وزوايا الرؤية المتعلقة بعاشوراء وأحداثها.

على الرغم من أنّنا نرى فقط المصائب والبلاء، إلا أنّ أرض كربلاء هي أرض الألم والمحنة. ومع أنّ ننجذب إلى الشجاعة والبطولة، إلا أنّ كربلاء هي الحماسة بعينها. و...

وفي دراسة إجمالية للشعر العاشورائي في الشعر العربي والفارسي والمعاني المستخدمة حيال كربلاء نجد عدة توصيفات لها: الوصف العشقي لكربلاء، والوصف العرفاني والمعنوي، والوصف الحماسي، والوصف الرثائي والحزن. إنّ ما نشهده في الشعر المعاصر هو قلة توصيفات الحزن حول كربلاء، في حين أنّ أغلب الشعراء في الفترات الماضية[1] كانوا يصفون الألم والمحنة والبلاء الكربلائي. وهذه التعابير نادراً ما نراها في استخدام الشاعر المعاصر. يسمي "محسن أبو الحب" كربلاءَ نشيدَ الحزن الذي يبقى ماثلاً في الأذهان.

سُـمِّيتْ كـرْبَلاءُ كـي لَـا يـروُمُ الـ ـكرْبُ مِنْهَـا إلي سِـوَاهَا إرتِحَالَـا
فَاتَّخِـذْهَـا لِلْحـزْن دَارَاً وَاِلَّـا فَارْتَحِـلْ لا كـفِيتَ دَاءً عُضَـالا

(البحراني، ١٤٢٦،٥٧٨)

في حين نرى "حسان" يطلق على كربلاء صفة وادي البلاء وسهله، كما يسميها أساس الحسد والغيرة:

اين وادي رنگين بلا رشك جنان است گلگون كفنان، لاله رخان نيست كم اينجا
اين دشت بلا، مجمع هر ضد ونقيضي است درياي وجود است وديار عدم اينجا

(چايچيان،١٣٧٣، ١٨٣)

أما الشاعر العربي المسيحي "جورج شكور" فينظر بعين الشك إلى هذا التوصيف ويخاطب كربلاء متسائلاً: هل أنتِ مصيبة ومُدْمية جسد هذا الزمان؟ ثم يجيب نفسه عن هذا التساؤل معتبراً كربلاء دليل الحق الذي يشير إلى الخير والشر، والنصر والهزيمة في آن واحد:

يـا كـرْبَلاءُ، أأَنْـتِ الكـرْبُ مُبْتَلِيـاً وأَنـتِ جُـرْحٌ عَلَـي الأَيـامِ نَغَّـارُ؟
لا، لا، وَثيقَـةُ حَـقٍّ أَنـْتِ شَاهِـدَةٌ أن فِـي الخَلِيفَـةِ أشْـرَارٌ و أخْيـارُ
يـا كـربَلاءُ لَـدَيك الخُسْـرُ مُنْتَصِـرٌ والنَّصْـرُ مُنْكسِـرٌ، والعَـدْلُ مِعيـارُ

(١٣٨٣، ٢١٤)

وبالنسبة للتوصيف المعنوي والعرفاني لكربلاء، نجد أنّ الشعراء قد استخدموا تعابير عدة منها: العرش الإلهي، وعرش الله، والكعبة، ووادي القدس، والجنة، وكعبة الحجاج، ومهبط الرسالة، و.... تشير هذه التعابير إلى قدسية كربلاء والقرب الإلهي منها، والبعد المعنوي والروحي الذي يتجلى فيها. في تلك الواقعة يجد الشاعر رابطة العبودية والإلهية حاضرة فيها، ويصف جميع الظواهر من منظار عرفاني.

كـــرب وبـــلا عـــرش الهـــي بـــود بـــر شـــرفش عـــرش گـواهي دهـــد
كـــرب وبـــلا مـــدفن اهـــل ولاســـت بـــزم الســـت وعرفـــات بلاســـت
كـــرب وبـــلا وادي ســـينا ستـــي بارقـــه ي طـــور تجلّاستـــي

(الهي قمشه اي، ١٣٨٠، ١١٣)

ومن جانب آخر يسمى "محسن الأمين" كربلاء بوادي طور، التي يشع منها الشهب النورانية والأمل جزء منها، وهي الأرض التي وجد فيها موسى نور الهداية، وارتقى من خلالها إلى منزلة الكعبة ومكانتها:

فَهِـي وَادِي القُـدْسِ الّـتي وُدَّتْ الشُّـهبُ الـدَّرَارِي بِأَنَّهَـا حُـصْبَاهَـا
حَـلَّ فِيهَـا النّـُورُ الّـذي نَـارُ مُوسَـى صَـاحِبُ الطُّـورِ مِـنْ سَـنَاهُ سَـنَاها
فَاخَـرَتْ كعْبَـةَ الحَجِيـجِ فَكَانَـتْ أشْـرَفَ الكعبَّـتَينِ قَـدْرَاً وَجَاهَـا

(بي تا، ٣٤٤)

إلى جانب هذه التشابهات، هناك اختلافات في الشعر العاشورائي العربي والفارسي في تناول هذا الموضوع. وأبرز هذه التشابهات وصف العرب للحماسة الكربلائية. ومن هذا المنظار فكربلاء مثالٌ للشهادة المرجوة والظلم الجائر، ومصدر الهامٍ للمقاومة والنضال. ومن الألفاظ المختارة والمستعملة في الشعر العربي دون الفارسي: " كهف الإباء، و كهف البطولة، ومعدن البطولة، وسِفْر ملحمة الخالدين، وكعبة الفداء، و.... " وهذه التعابير تشير إلى أنّ كربلاء مدرسة المقاومة والنضال. هذه النظرة التي أحاطت بكربلاء تدل على حاجة المجتمع العربي إلى روح القتال والشجاعة. الأمر الذي أجبر الشعراء على انتقاد أوضاع المجتمع والقادة ورجال الدين، كما اعترضوا أناشيد الرثاء والعزاء:

فَيـــا كرْبَـــلاءُ كهْـــفَ الإبَـــاءِ مُجَسَّمَـــا وَيـــا كـــربَلاءُ كهْـــفَ البُطُولَـــةِ والْعُلَـــا
وَيـــا كـــربَلاءُ قَـــد صِـــرْتِ قِبْلَـــةَ كـــلِّ ذِي نَفْـــسٍ تَصَـــاغَرُ دُونَ مَبْـــدَئِهَا الـــدُّنَا
فَلِلْمُسْلِـــمِ الأَسْمَـــى شُعُـــارٌ مُقَـــدَّسٌ هُمَـــا قِـبْلَـــتَان لِلصَّـــلَاةِ وَلِلْإبَـــاءِ

(العلايلي، ١٩٧٢، ١٠٨)

كـــرْبَلاء مَعـــْدَن الْبُـطُولَـــةِ والْعِـــزِّ وكـنـــــْزُ الرُّجُولَـــــةِ الْعَصْمَـــــاء

(الهاشمي، ١٤٠٦، ٢١٥/١)

إنّ كربلاء قبلة الظلم الجائر بالنسبة للمسلمين. وإذا ما أراد أي مسلم أن يواجه الظلم، عليه أن يجعل من كربلاء قدوة ونبراساً له. ليست كربلاء واقعة تخص سنة ٦١ للهجرة، بل هي واقعة تتكرر في كل زمان ومكان. النظرة النقدية لـ"مصطفى جمال الدين" حيال البكاء والدعوة لأخذ الثأر بيان صريح لهذه القضية، فيرى أنّ كربلاء زيادة في الدمع والجرح والألم. كربلاء من وجهة نظره متابعة للدم والفداء:

عَطِشَـــتْ كربَلَـــاءُ مِـــنْ كثـــرَةِ الـــدَّمْـ ـــــعِ، وَ غَصَّـــتْ جِرَاحُهـــا بِالرِّثَـــاء
فَـتَـفَجّـــَرْ يـــا حِقْـــدُ فِيهـــَا وَرُوِّى بِـالنَّجـــِيعِ القَـــانِي جُـــذُورَ الفِـــداء

(١٤١٥، ٢١١)

كما أن الوصف العشقي لكربلاء من الخصائص البارزة للشعر الفارسي أيضاً:

كربلا، كعبه عشق است ومن اندر احرام شد در اين قبله عشاق دو تا تقصيرم

(چايچيان، ١٣٧٣، ٢١٤)

كـــرب وبـــلا، درس وفـــا مـــي دهـــد تربـت عـشق اسـت وشـفا مـي دهـد

(الهي قمشه اي، ١٣٨٠، ١١٢)

٨-٢ الثأر:

الثأر معجم متداول بين جميع الأمم، وحينما يمتزج هذا المفهوم بالحقد والكره يتحول إلى انتقام. إنّ دراسة التاريخ العربي يشير إلى احتضانه العديد من الحروب القاسية، وفي نهاية الأمر تسرب حب الانتقام إلى قلوبهم، الذي جعل هذه الحروب تمتد سنوات طوال.

لذلك يجب ألا تتحول لفظة "ثأر" إلى الانتقام. إنّ لفظة "ثأر" في الثقافة الفارسية لها دلالات سلبية، في حين أنّ الثأر حق لأهل الدم، والإمام الحسين قد قُتل مظلوماً ولم يستطع أي أحد من أفراد نسل قابيل أن يأخذ بدمه ويثأر له. في الحقيقة إنّ ثأر الحسين ليس إثارة شخصية- للثأر من جميع أفراد نسل قابيل- على طول التاريخ وامتداه. إنّ الثأر أمنية لم تتحقق في قلوب الأحرار الجهاديين، وباعتباره قسم من أقسام واقعة كربلاء، فإنّ معناه يتمثل في كثير من المترادفات التي انعكست في الشعر الكربلائي كالثأر، والثارات، والانتقام، وبالإضافة إلى إمام الزمان فإنها استخدمت مع شخصيات أخرى. بعد سنوات من واقعة كربلاء قامت ثورات عديدة تطالب بثأر الحسين، كثورة التوابين التي قادها سليمان بن صرد الخزاعي، أو ثورة المختار الثقفي في الكوفة، وهاتان الثورتان من الثورات التي اتخذت شعار "يا لثارات الحسين". من هنا نجد أنّ الثأر مفهوم امتزج بالروح المعنوية للقتال والمبارزة. إنّ هذه الظروف أثرت على الأدب ولفتت أنظار الشعراء إلى مفهوم الثأر والحديث عنه. في حين أنّه ومع مرور الوقت وفي عصر بني أمية وبني العباس- الذي أصبح وجودهم أمراً ضرورياً لأخذ الثأر- جعل مفهوم الثأر في الشعر العاشورائي يفقد رونقه ويقل حضوره فيه.(خزعلي،١٣٨٣، ٨٢) كما أصبح حضوره في الشعر المعاصر محدوداً بشكل كبير. على الرغم من هذا الحضور الضئيل- وبالمقايسة مع الشعرين العربي والفارسي- فإنّ الشعراء العرب قد تحدثوا عن الثأر والانتقام أكثر من الشعراء الإيرانيين. استعملت لفظة " الثأر" في الشعر العربي بالمعنيين السلبي والإيجابي. فالمعنى السلبي يعني الانتقام الممزوج بالحقد والبغض للأعداء. يقول الشعراء عن اليزيدين: أنهم زينوا صفّهم أمامَ الإمام فقط من أجل الانتقام لقتلاهم في بدر وأحد:

وِتْـرٌ بِـهِ أَدْرَكـت أَوْتَـارَ مَـا فَعَلَـتْ بَـدْرٌ وَلَـمْ تَكفِهِـمْ ثَـأْرَاً لَهَـا أُحُـد

(هندي،١٤٠٩، ٤٥)

يقول "جمال الدين الهاشمي" عن الحقد: شعلة ذلك القلب تحرق يزيدَ، وأين أبو سفيان اليوم ليرى كيف تنطفئ نار الحقد الباقية من بدر وأحد بمقتل الحسين:

أَيـنَ عَنْـهُ حَتَّـى يـرَاهُ أَبُـو سُـفيانَ ذَاك المُنَـافِـقُ الغَـدَّارُ

أَنَّ فِـي حُكمِـهِ سَيأخُـذُ ثَـأر لَـمْ يـزَلْ مِنْـهُ فِـي القُلُـوبِ أوَارُ

سَـــوْفَ تَمْحُـــو بَـــدْرَاً وأَحـــدَاً بِيـــومِ فِيـــــهِ لِـلْكفـــــرِ ثُـــدرَك الأَوْتـــــَارُ

(١٤٠٦، ٢٠٩/١)

من هنا لا يمكن أن تكون لفظة "انتقام" كلمة جميلة للانتقام لدم أبي عبدالله الحسين:

خطبـه زينـب كـه سـوخت كـاخ سـتم را شـــعله از نـــار انتقـــام حســـين اســـت

(خوشدل تهراني، ١٣٦٤، ٧٣٧)

ويُطرق هذا المفهوم في الشعر العربي بمعان أخرى أيضاً، كما هو الحال عند "الهاشمي" الذي يقول على لسان "قاسم بن الحسن" حيال الثأر من بني أمية: أنه سبب لتهدئة قلبه:

سَـــأُبِيدُ الجُمُـــوعَ فِـــي حَمَلَـــاتي وَسَـــــينهَّارُ وَصْـــــفُهَا المَعْمُـــــورُ

آخُـــذُ الثـــأَرَ مِـــن أَمَيـــَةَ كيمـــَا يتَسَلّـــــَي فـــــُؤادِي المَـوْتُـــــورُ

(١٤٠٦، ٢٥٠/١)

ويقول الشاعر "العلايلي" الشاعر السني المذهب عن فلسفة هذا الثأر: إنه ليس من أجل الانتقام والأخذ بالثأر، بل هو من أجل إعادة العظمة والكرامة والهيبة. وإنّ الانتقام للحسين هدف لجميع القيم والفضائل، وكل شخص ينهض ويحارب من أجل هذا الهدف، فإنه بذلك يحيي هذه القيم:

وَقَـــفْتُ عَلَـــى زُمْـــرَةٍ ثَـــائِر يـــنَ يكـــادُ الحِفَـــاظُ يرَامِـــي الْحَمَـــمْ

يقـُولُـــونَ: ثَـــأْرٌ لَنـــَا نَائِـــمٌ نُرِيـــدُ انْتِـــقَامَاً يـــرَوِّي الضّـــَرَم

يـــرَوِّي الضُّـــلُوعَ يعِيـــدُ النَّخَـــا يـــرَوِّي النُّفـــُوسَ يعـــِيدُ الشَّـــمَم

(١٩٧٢، ١٠٩)

وتستخدم الشاعرة الايرانية صفارزاده للإمام عبارة ثاراللّه معتبرة اياه هو الذي يقوم بثأره:

وانتقام عظيم / در اين مصيبت عظمي / در انحصار قدرت واسعه بود/ و در تداوم تقدير/ خداي ثاراللّه / مقام و منصب ثاراللهي را / نصيب پاكباز ترين عاشق نظام الهي/ نصيب امام شهيدان / فرمود. (١٣٧٨، ٨٤)

٩-٢ فلسفة النهضة:

ومن المواضيع القليلة التكرار في الشعر العاشورائي الحديث عن سبب وقوع حادثة كربلاء. الموضوع الذي استوقف الدارسين في التاريخ المعاصر أكثر من الفترات الماضية التي سبقته. وكما تحدثنا في الفصل الأول حيال دراسة الشعر العاشورائي الفارسي- منذ وقوع الحادثة إلى ما بعدها- فإنّ الشعراء اكتفوا بالحديث عن الحادثة دون تحليل ودراسة لها، والنظر إلى النهضة نظرة سطحية. تشكلت الموضوعات الشعرية لهؤلاء الشعراء من خلال ذكر المصائب وآهات الإمام وأهل بيته، وهجاء الأعداء، و.... لكن مع مرور الزمن، نظر الشعراء بنظرة أكثر دقة- على الرغم من البحث والتقصي- إلى عاشوراء، وتجاوزوا الحد في ذكرهم للرثاء والمراثي.

إنّ الحديث عن فلسفة نهضة الإمام قد طُرحت في شعر عاشوراء العربي والفارسي المعاصر، وعلى الرغم من أنها ذكرت في أغلب شعر الشعراء، إلا أنها كانت بصورة مختصرة، لأن ظروف المجتمع المعاصر وبشكل خاص في العقود الأولى منه كان بحاجة إلى إحياء أهداف وشعارات الحسين أكثر من الفترة الزمنية التي سبقتها. إنّ الرؤساء الضعفاء، والروح المعنوية المتواطئة والتسليم أمام القوى الكبرى، وظلم ملوك الفرس أثناء فترات حكمهم لإيران، ما هي إلا تسكين لروح المقاومة والقتال أمام الظلم.

شرع شعراء الأمتين بتوضيح فلسفة نهضتهما مستلهمين من كلام الإمام شعاراً لهم حيث يقول الإمام:" إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي، أريد أنْ آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي" (محدثي،١٣٨٧،٦٨). في أشعار شعراء عاشوراء نرى الحضور الكبير والقوي لإحياء الإسلام وسنة النبي كعنوان مهم لأهداف نهضة عاشوراء:

گـــر ماجـــراي حادثـــه كـــربلا نبـــود — رسمي ز دين پاك پيمبر به جا نبود
گر نهضت حسين نمي بود از حجاز — در شام و كوفه شرع محمّد به پا نبود
(همايي،١٣٦٤، ١٢٩)

سينه كردي هدف تير كه مي دانستي — زنده بي مرگ تو دين نبي اكرم نيست
(سازگار، ١٣٨٥، ١/ ٢٠٧)

كان الإمام قد أدرك يقيناً أنّ المجتمع الإسلامي ميتٌ ولا يوجد في بلاد الإسلام مسلمون حقيقيون، لذلك جعل نفسه فدائياً للإسلام. وهذا المفهوم نراه يتجلى وينعكس في شعر كاشف الغطاء:

وَقَد أَيقَنَ السِّبْطُ إنَّمَحَي دِينُ جَدِّهِ ... وَلَم يبْقِ بَينِ القَومِ فِي الأرْضِ مُسْلِمُ

فَدَي نَفْسَهُ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ خَائضَاً ... عَنِ المُسلِمِينَ الغَامِراتِ لِيَسْلِمُوا

(بحر العلوم،١٤٢٨، ٤٨٥)

ويصف "مهدي مطر" نهوض الإمام في سبيل الرسالة النبوية - معتبراً إياه مُبلّغاً للرسالة النبوية وشعاراتها - والإصلاح الذي استشهد لتحقيقهما:

أَدَّى الرِّسَالَةَ مَا اسْتَطَاعَ وَإنَّمَا ... تَبْلِيغُهَا بِدَمٍ يطِلُّ وَيهْدِرُ

فَبِذِمّةِ الإصْلَاحِ جَبْهَةُ مَاجِدٍ ... ثرْمَي وَ وَضَّاحُ الجَبِينِ يعَفَّرُ

(المصدر نفسه، ٣٨٠)

ويذكر الشاعر المسيحي"جورج شكور" قِسماً من كلام أبي عبدالله الحسين لتبيين أهداف نهضة عاشوراء.

مَضَى إلَى مَكةَ البَطْحَاء مُعْتَزِمَاً ... لَمْ يثنِهُ نَاصِحُ، لَمْ تُجْدِ أَعْذَارُ

لَا خَارِجَاً أشِرَاً، لَا مُفْسِدَاً بَطِرَا ... بَلْ هَمُّ أُمَّتِهِ فِي البَالِ دَوَّارُ

(١٣٨٣، ٢١٢)

إنّ العلايلي، والجواهري، وموسى الزين شرارة، ومحمد رضا فرحات، وجمال الدين الهاشمي، وسلمان هادي طعمة، ورشيد ياسين ومصطفى جواد، وسعيد العسيلي من الشعراء الذين تحدثوا عن فلسفة نهضة الإمام من خلال هذا المنظار.

إنّ مواجهة الظلم والثورة على الكفر وردع الحكومات الباطلة و قطع يد الظلم وهزيمة الجيش الظالم والفصل بين الكفر والإيمان و... من الأهداف التي نهض من أجلها الإمام:

قصد حسين / سركوب سلطه ي ناحق است / سركوب مارقين خلافت / وبرقراري سعادت امّت / با انتظام اطاعت / اطاعت از خدا ورسول واولو الأمر

(صفارزاده،١٣٧٨، ٧٨)

پـــي دفـــع شـــب بيـــداد برخاســـت امـــام شـــب شـــكن از خـــاور گـــل

(ده بزرگي،١٣٧٣، ٨)

(ر.ك: مشفق كاشاني، ١٣٦٥، ١٧٨؛ غفورزاده، ١٣٨٤، ٢١؛ همايي، ١٣٦٤، ١٢٧؛ الهي قمشه اي، ١٣٨٠، ٨٥)

كما أنّ القيم واليقظة ومواجهة الأمم من الأهداف الأخرى التي تجلت في شعر عاشوراء من أجل نهضة الإمام.

گـر بـر سـتم قـرون برآشـفت حسـين بيداري ما خواست، به خون خفت حسين

(حسيني،١٣٨٥، ١٠٩)

بـزرگ فلسـفه قتـل شـاه ديـن ايـن اسـت كه مرگ سرخ بـه از زندگي ننگيـن است

نـه ظلـم كن بـه كسي نـي بزير ظلم برو كه اين مرام حسين است ومنطق دين است

(خوشدل تهراني، ١٣٦٤، ٧٤٥)

قَـدَّمَتَ لِلمَـوْتِ كـي تُحْيـي بِـهِ أُفُقَـاً لِلمَجْـدِ فِـي ظِلِّـهِ الأحْـرَارُ تَعْتَصِـمُ

(الهاشمي:١٤٠٦، ١/٢١٤)

٣ـ النتيجة:

في موضوع الأسر تشير الدراسة إلى أن الشعراء العرب قد التفتوا إليه أكثر من الشعراء الإيرانيين؛ على الرغم من أنّ الشعر العربي قد فصّل الحديث عن الأسر، إلا أننا نرى في الطرف المقابل أن الشعراء الإيرانيين اكتفوا بذكر بيت أو بيتين حيال هذا الموضوع، وهذا الأمر ناشئ من الأهمية الكبيرة لهذا الموضوع عند العرب ونوع نظرتهم إليه. ومن الاختلافات الأساسية بين الشعرين العربي والفارسي حيال موضوع الأسر، أنّ الشعراء العرب قد نظروا إليه نظرة سطحية، وهذا الأمر قد أدى إلى ظهور الأسر عندهم كنوع من التحقير وإهانة للمأسور. ومن جانب آخر، إنّ استخدام العرب لتعبير "سوق الإماء" يتناسب مع ثقافة العرب القدامى في بيع وشراء الجواري. أما نظرة الشعراء الإيرانيين فقد كانت أكثر عمقاً وتجاوزت المسائل والمظاهر السطحية للأسر. وعلى الرغم من إشارة

الشعراء الإيرانيين - أحياناً- إلى الأسر بطريقة غير مباشرة والممزوجة بالتحقير والإهانة، إلا أنّ النظرة الغالبة كانت نظرة هادفة. و مما يشترك فيه الشعران العربي والفارسي حيال عاشوراء أنّه يغلب عليهما الحزن والاحساس بالواقعة.

أما العطش فقد وصفه الشعراء بعاطفة حزينة وصورة المتألم والمتأثر من عطش أهل البيت. بالإضافة إلى التصوير العادي والرائج لمفهوم العطش، إلا أننا نجد -أحياناً- تفاوتاً واختلافاً في تعابير وتصاوير الشعرين. ومن الخصائص الأخرى للشعر العربي حيال موضوع العطش أنْ يمتزج الرثاء بمفاهيم الحماسة والمدح. كما أنّ مفهوم الدعاء من التراكيب المتداولة في الشعر العربي، الذي عكسه شعراء عاشوراء في أشعارهم، وكذلك الأمر نجده عند شعراء الرثاء الذين يقفون على ضريح المتوفى ويدعون طلباً للاستسقاء، ويلعنون الدهر. وهذه المفاهيم نراها مترافقة مع موضوع العطش. أما هذه النظرة المتباينة للعطش يمكن أن نراها أكثر وضوحاً في الشعر الفارسي بالمقارنة مع الشعر العربي.

استخدمت لفظة "الشهادة والموت" في قاموس شعراء اللغتين، واتسم مفهوم الشهادة بهالة من التقديس عندهم. وهذا الأمر – في النتيجة- نابع من أنّ الإسلام والقرآن هما المصدر التي تتكئ عليه اللغتين، والموت في سبيل الله قيمة عالية، وللشهداء منازل رفيعة عند الله.

في أكثر الشعر العاشورائي الفارسي تم التأكيد على الخلود والبقاء والحياة. وفي الطرف المقابل فالتعبير الحسي للموت كان قد لفت أنظار الشعراء العرب في أغلب أشعارهم. مع أن النظرة العرفانية والعشقية لعاشوراء قد ميّزت الشعر الفارسي في حديثه عن شخصيات وأحداث عاشوراء، إلا أنّ أثرَ هذا المضمون نراه بصورة مستقلة في كلا الشعرين مع وجود الاختلاف في تناوله. كان ميل الشعراء الإيرانيين إلى العشق أكثر وضوحاً من الشعر العربي، فقد تناول الشعراء الإيرانيون العشق وتعابيره بشكل مفصل ودقيق، وشمل أرضية وسيعة للموضوعات. وجد العشق في الشعر العاشورائي الفارسي عمقاً كبيراً وأبعاداً مختلفة. أكبر الاختلافات التي نجدها هي امتزاج العشق بالعرفان في الشعر الفارسي. إنّ تجلي وحضور الله في الشعر الفارسي قد جعل العشق فيه يأخذ معنى العشق الإلهي، في حين أنّ العشق في الشعر العربي يمكن أن يكون عشقاً جنسياً.

في وصف أرض كربلاء فإننا نراها شاهدة في كلا الشعرين المعاصرين، والحزن من العواطف الملفتة للنظر فيهما، في حين أنّ الشعراء في الفترات السابقة كانوا يصفون كربلاء بالألم والمحنة. إلى جانب هذه التشابهات، نجد اختلافات عديدة في الشعر العربي والفارسي أثناء الحديث عنه. ومن أبرزها الوصف الحماسي للشعراء العرب حيال كربلاء، فمن خلال نظرتهم هذه فهم يرون أن المجتمع العربي بحاجة كبيرة إلى روح القتال والشجاعة.

كما تحدث الشعراء العرب والإيرانيون في بعض أشعار عاشوراء عن إمام الزمان. ومن خلال دراسة الأبيات المتعلقة بهذا المفهوم يتبين أنّ الإمام يظهر في الأدب إما كمنج أو منتقم، لكن كمنتقم فقليل جداً. و في هذا المنحى يُصور هذا المجتمع صامتاً راكداً ينتظر قدوم من يأخذ بثأر الحسين. يتحدث هذا المجتمع عن ظهور المنجي: إنّ العطش لظهوره موجود، لكن لا يوجد أي استعداد يمهد له ولحضوره. إنّ الثورة الإسلامية الإيرانية وتحقق قسم من أهداف النهضة الحسينية أدت إلى أنْ تذكر هذه الروح المعنوية للمقاومة والقتال في الشعر العاشورائي الفارسي. أما بالنسبة لإمام الزمان فإنه في الشعر العاشورائي الفارسي والعربي منج أكثر منه منتقم. إنّ حضور الثأر في الشعر المعاصر قليل جداً، لكن على الرغم من هذا التواجد القليل وبالمقايسة بين الشعرين، فإنّ الشعراء العرب تحدثوا عنه أكثر من الشعراء الإيرانيين. استُعمل الثأر في الشعر العربي بمعنييه السلبي والإيجابي.

هوامش البحث

(١) فضولي بغدادي:

السلام اي ساكن محنت سراي كربلا ... السلام اي مستمند ومبتلاي كربلا

(محمد زاده،٧٩٧،١٣٨٦)

ايـن زمـين پـر بـلا را نـام دشـت كربلاسـت

ايـن بيـابان قتلگـاه سيـد تشـنه لـب اسـت

اي دل بـي درد،آه آسـمان، سـوزت كجاسـت

اي زبـان! وقـت فغـان، وي ديـده هنگـام بكاسـت

(محتشم كاشاني، ١٣٧٩، ٤٤٩)

قائمة المصادر والمراجع

١- اصفهاني، محمد حسين، ١٣٨٤، كليات ديوان كمپاني، عبّاس احمدي(مصحح)، قم: حضرت عبّاس.

٢- افسري كرماني، عبدالرضا، ١٣٧١، نگرشي به مرثيه سرايي، تهران: انتشارات اطلاعات، چاپ١ .

٣- اميري فيروزكوهي، عبدالكريم، ١٣٥٤، ديوان، اميربانوي مصفا(شرح)، تهران: چابخانه بهمن وحيدري.

٤- انساني، علي، ١٣٨٦، چراغ صاعقه، علي موسوي گرمارودي(مقدمه)، تهران: جمهوري، چ٥.

٥- الهي قمشه‌اي، مهدي، ١٣٨٠، نغمه حسيني، قم: پارسايان، چاپ١.

٦- براتي‌پور، عباس، بي‌تا، گزيده ادبيات معاصر، تهران: كتاب نيستان، چ١.

٧- بيابانكي، سعيد،١٣٨٧، باغ دوردست، تهران: نشرتكا، چ١.

٨- چايچيان، حبيب، ١٣٧٣، اي اشك‌ها بريزيد، تهران: انتشارات جاويدان، چاپ١٥.

٩- حسيني، سيد حسن، ١٣٨٦، گنجشك و جبرئيل، تهران: نشر افق، چ٦.

١٠- خزعلي، انسيه، ١٣٨٣، امام حسين در شعر معاصر عربي، تهران: اميركبير، چاپ اول.

١١- خوشدل تهراني، ١٣٦٤، ديوان، تهران: نشرما، چاپ١.

١٢- دهبزرگي، احد، ١٣٧٣، خطبه خون، تهران: انتشارات برگ، چاپ١.

١٣- رسا، قاسم، ١٣٤٠، ديوان، تهران: چاپ بهمن، چاپ اول.

١٤- سازگار، غلامرضا، ١٣٨٥، نخل ميثم، قم: نشر حق بين، چاپ٣.

١٥- سبزواري، حميد، ١٣٦٧، ديوان اشعار سبزواري (سرود درد) دفتر اول، تهران: مؤسسه كيهان، چاپ١.

١٦- سنگري، محمدرضا، ١٣٨٦، راز رشيد، تهران: سوره مهر، چاپ٣.

١٧- شيرازي، فرصت الدوله، بي‌تا، ديوان، طهران: كتابفروشي سيروس.

١٨- صاحبكاري، ذبيح الله، ١٣٧٩، سيري در مرثيه عاشورايي، تهران: تاسوعا، چاپ١.

١٩- صفارزاده، طاهره، ١٣٨٤، ديدار صبح، تهران: پارس كتاب، چاپ ٢.

٢٠- غفور زاده، محمد جواد، ١٣٨٤، جام ارغوان، مشهد: محقق، بنياد شهيد انقلاب اسلامي، چاپ١.

٢١- قزوه، علي‌رضا، ١٣٨٦ (١)، من مي‌گويم شما بگريد، انتشارات سوره مهر، چاپ هفتم.

٢٢- ----------، ١٣٨٦(٢)، باكاروان نيزه، تهران: سوره مهر، چاپ ٥.

٢٣- كرماني، فؤاد، ١٣٨٥، ديوان شمع جمع، حسين بهزادي اندوهجردي(مصحح)، كرمان: انتشارات ولي، چاپ١.

٢٤- محدّثي، جواد، ١٣٨٧، فرهنگ عاشورا، قم: نشرمعروف، چاپ١٢.

٢٥- محمد زاده، مرضيه، ١٣٨٦، دانشنامه شعر عاشورايي، تهران: وزارت ارشاد اسلامي؛ سازمان چاپ و انتشارات، چ٢.

٢٦- مرداني، نصرالله، ١٣٧٧، شعر اربعين، تهران: نشر شاهد، چاپ اول

٢٧- موسوي گرمارودي، علي، بيتا، درسايه سار نخل ولايت، تهران: دفترنشر فرهنگ اسلامي.

٢٨- مؤيد، سيد رضا، ١٣٧٣، گل‌هاي اشك، مشهد: انتشارات علي‌زاده، چاپ سوم.

٢٩- ناظرزاده كرماني، احمد، ١٣٦٩، ديوان، انتشارات دانشگاه تهران، چاپ ١.

٣٠- نديم، مصطفي، ١٣٨٢، مضمون شهيد و شهادت، تهران: شاهد.

٣١- هراتي، سلمان، ١٣٦٨، دري به خانه خورشيد، تهران: سروش، چاپ١.

٣٢- همايي، جلال الدين، ١٣٦٤، ديوان سنا، به اهتمام ماه دخت بانوهمايي، تهران: نشر هما، چاپ ١.

٣٣- محدثي، جواد، ١٣٨٣، شعر شيعي، خردنامه همشهري، ص١٧، ش٣٦.

٣٤- ابوالحب، محسن، ١٣٧٥، ديوان، نجف: مطبعة الآداب.

٣٥- آل طعمه، سلمان هادي، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، الحسين في الشعر الكربلايي، بيروت: مؤسسة الفكر الإسلامي، ط١.

٣٦- الأمين، السيد محسن، لاتا، الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد، قم: منشورات مكتبة الداوري، لاطا.

٣٧- بحر العلوم، مهدي، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، بدائع الشعراء في رثاء السيد الشهداء، بيروت: دار الزهراء، ط١.

٣٨- البحراني، حسين سليمان، ١٤٢٦، رياض المدح والرثا، حسن عبدالامير محمد(تحقيق)، بيروت: دار الحوراء، ط١.

٣٩- دحبور، احمد، ١٩٨٣ م، ديوان، بيروت: دار العوده، لا.ط.

٤٠- جمال الدين، مصطفى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، ديوان، بيروت: دار المؤرخ العربي، ط١.

٤١- الحسن، عبدالله، ١٤١٨ق، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب، ط١.

٤٢- الخاقاني، علي، ١٤٠٨هـ.ق، شعراءالغري النجفيات، قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ط٢.

٤٣- سلامه، بولس، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، مآثر الإمام علي بن ابي طالب و الإمام الحسين في وجدان بولس سلامه و شعره، بيروت: دارالحمراء، ط١.

٤٤- شبر، جواد، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، ادب الطف، أو شعرا الحسين، بيروت: دار المرتضي، ط١.

٤٥- شمس الدين، محمد علي، ١٩٩٣، الاعمال الكاملة، القاهرة: دار سعاد الصباح، ط١.

٤٦- العسيلي، سعيد،١٤٠٦، كربلاء، بيروت: دار الزهراء، ط١.

٤٧- العلايلي، عبدالله، ١٩٧٢، الإمام الحسين، بيروت: دار المكتبة التربية، طبقه جديدة.

٤٨- الفرطوسي، عبدالمنعم، ١٩٧٨، ملحمة اهل البيت(جلد٣)، بيروت: دار الزهراء، ط١.

٤٩- الكاظمي، جابر، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ديوان، بيروت: دار القاريء، ط٢.

٥٠- مجيب مصري، حسين، ١٤٢١هـ، كربلا بين شعراء الشعوب الإسلامية، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ط١.

٥١- الموسوي، موسي، ١٩٨٨م- ١٤٠٩هـ، ديوان السيد رضا الموسوي الهندي، سيد عبد الصاحب الموسوي (تعليق)، بيروت: دار الأضواء.

٥٢- نور الدين، حسن، ١٤٠٨هـ، عاشورا في الأدب العاملي المعاصر، بيروت: الدار الإسلامية، ط١.

٤٢- الهاشمي، سيد محمد جمال، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م، ديوان (مع النبي وآله جزء اول)، سبهر، جزء اول، ط١.

٤٣- شكور، جورج، ١٣٨٣، "لوكان للقلب الوفي"، رسالة التقريب، ش٤٦، صص ٢٠٩- ٢١٨.

٥٥- جميل، جواد، الحسين لغة ثانية، http://www.iraqcenter.net/vb/11577.html